من معاناة الإسلام والمسلمين

آية الله السيد محمد
الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف)

بسم الله الرحمن الرحیم

من معاناة الإسلام والمسلمين

كاتب:

محمد حسينى شيرازى

نشرت فى الطباعة:

موسسة المجتبى

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

من معاناة الإسلام والمسلمین

اشارة

اسم الکتاب: من معاناة الإسلام والمسلمین
المؤلف: حسینی شیرازی، محمد
تاریخ وفاة المؤلف: ۱۳۸۰ ش
الموضوع: اسلام
اللغة: عربی
عدد المجلدات: ۱
الناشر: موسسه المجتبی
مکان الطبع: بیروت
تاریخ الطبع: ۱۴۲۴ ق
الطبعة: اول

بسم الله الرحمن الرحیم(۱)
الحمد لله رب لعالمین(۲)
الرحمن الرحیم(۳)
مالک یوم الدین(۴)
ایاک نعبد و ایاک نستعین(۵)
اهدنا الصراط المستقیم(۶)
صراط الذین انعمت علیهم غیر المغضوب علیهم والضالین(۷)
رجوع إلی القائمة

کلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحیم

یولد الإنسان حینما یولد علی الفطرة السلیمة التی خلقها الله تبارک وتعالی معه، أی: أنه یولد علی التوحید والإیمان بالله الواحد الأحد العادل?: فِطْرَتَ اللهِ الَّتِی فَطرَ النَّاسَ عَلَیْها() ?وفی هـذا الشأن ورد الحدیث النبوی الشریف: «کل مولود یولـد علی الفطرة، وإنما أبواه یهودانه وینصرانه ویمجسانه» () وهنا وبحکم التیارات والأهواء الضالـة والمضلـة التی یتبناها الظالمون تولـد معه مشاکل کثیرة، منها ما یخص عقیدته ومعتقداته وهی الأهم، ومنها ما یخص حیاته فی البیئة والمجتمع، أی بما یرتبط بمعیشته، ومن هنا احتاج الإنسان إلی النظم والقوانین لمعالجة هذه المشاکل، وإیجاد الحلول لها بطریقة سهلة بسیطة...

وبما أن الدنیا دار اختبار وابتلاء، فمن السنن الکونیة أن یلاقی الإنسان فیها من الشدائد والأهوال فی کافة جوانب حیاته، سواء المرتبطة بمعتقده أو الجوانب الأخری التی أشرنا إلیها آنفاً، قال تعالی?: أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ یُتْرَکُوا أَنْ یَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لایُفْتَنُونَ ?وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِینَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَیَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِینَ صَدَقُوا وَلَیَعْلَمَنَّ الْکاذِبِینَ().?

ورأفة بهذا الإنسان وبلطف من الباری جل وعلا، زود الإنسان بوسائل المعرفة لکی ینظم شؤونه؛ لأنه بطبیعة الحال ضعیف محتاج إلی

من يكمل حياته، ويعطيها الدفع المعنوى، لأجل الوصول إلى الغاية المنشودة.

وعند التعارض بين ما أمر الله به أو ما يحكم به العقل والوجدان السليم، وبين ما يأمر به الشيطان أتباعه، تبدأ المشكلات والمعاناة التى تجر وتؤدى إلى كل ما فى هذه الحياة من مآسى وويلات. ولقد عانى الأنبياء والرسل عليهم السلام من أغلب هذه المآسى والتى جرّت عليهم الحرمان والقتل والتشريد من الأوطان لأجل أداء رسالة السماء التى كلفوا بها. ولأن هناك وحدة فى الهدف والغاية التى تتمثل فى طاعة الله، وإصلاح الناس، وهداية المنحرفين منهم، ومجابهة الطغاة والظالمين، فإنه تتعدد الأدوار بحسب المرحلة الزمنية.

ومن هنا نعلم عظمة معاناة الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله والدور المثالى الذى لا يمكن للقلم مهما أسهب فى وصف تلك المعاناة، فإنه لايمكن أن نعطى الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله حقه وأن نوضح حقيقة تلك المعاناة التى مر بها عنصره الأقدس، فى فترة زمنية قد أطبق الجهل على أهلها من كل صوب، حيث كان الطغاة يستخفّون بالضعفاء من الناس ويستغلونهم، لتمرير مآربهم وإشباع رغباتهم عن طريق الإرهاب، وتجنيد السذج منهم.

لذلك عانى رسول الله صلى الله عليه و اله عند إرساء تعاليم الإسلام خلال مراحله الأولى وفترة ولادته وانبثاقه، أشد ألوان الاضطهاد والتعسف، ولكن بقوة الإيمان وإرادة صاحب هذه الرسالة السمحاء صلى الله عليه و اله وبصبره الكبير استطاع أن يروض وحشية دعاة الجاهلية وهمجيتها وقادتها. وكان من أسمى دعائم هذا الجهاد هو ذلك الخُلق العظيم الذى تمتع به خير خلق الله صلى الله عليه و اله، فدخلت تلك الأمم فى دين الله جل شأنه أفواجاً أفواجا من كل حدب وصوب.

ويعلمنا الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله أبلغ الدروس والعبر فى أن من يسلك منهج الحق وصراط الهداية عليه تحمل الصعاب والشدائد؛ ولابد من سلوكها والصبر عليها؛ لأن النتيجة بالتالى تكون للمصلحين الصابرين مهما كانت قساوة الطريق وصعوبة المسير.

فإنه لابد أن تبزغ شمس الهداية على هذه المعمورة، وهى النتيجة الحتمية لِجَلدِ الدعاة إلى الله والسائرين نحوه، والمريدين ظله تعالى شأنه، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام يخوض غمار الصعاب والذى لم يهن ولم يستسلم أبداً، فهو يعطينا أروع الدروس فى التضحية، ويبين لنا بأفعاله العظيمة وأقواله الشريفة أن طريق الحق صعبٌ مستصعبٌ ولابد من سلوكه؛ لأنه غاية الشرفاء من أبناء البشر ... ويعلمنا أن لا نسمح لليأس أن يدب إلى نفوسنا وتفكيرنا عندما يكون الإنسان مدافعاً عن قضية نبيلة وشريفة، بل لابد من الاستمرار والمثابرة من أجل الحصول على النتائج الطيبة.

فالمسلمون الأوائل عانوا ما عانوا من المصاعب والشدائد، ولكن بصبر وحكمة صاحب الرسالة صلى الله عليه و اله وبسالتهم ثبت الإسلام كدين حق.

ولكن هل تنتهى المحن؟

كلا فمحنة المسلمين استمرت بعد غياب الرسول صلى الله عليه و اله والتحاقه بالرفيق الأعلى جل شأنه، حيث تسلط أئمةُ الجور وخلفاء السوء على رقاب المسلمين، وحكموا فى الناس باسم الإسلام، وباسم الخلافة لصاحب الرسالة صلى الله عليه و اله إذ اغتصبت الخلافة من على أمير المؤمنين عليه السلام المنصوب من السماء ومن الرسول، ? وقتل بعض الصحابة وشرد البعض، وكان الحاكم يقرب إليه من يشاء، أو من يكون له صوت إعلامى ودعاية سياسية تثبت ملكه وسلطانه، حتى جاءت الدولة الأموية والدور البشع الذى لعبه رجال السلطة المتلبسون باسم الدين فى تدعيم سلطان الحاكم الجائر، وتبرير مواقفه الظالمة ضد الشرفاء من أبناء الأمة، وإعطاء أفعاله صبغة شرعية، كما فعل شُريك القاضى عندما أفتى بجواز قتل الإمام الحسين عليه السلام سبط النبى الأعظم صلى الله عليه و اله، إلى غير ذلك من الأمثلة والشواهد الكثيرة على المجازر الرهيبة والمعاناة المريرة، التى ارتكبها ملوك وأمراء بنى أمية، ومن تلاهم من بنى العباس بحق المسلمين، باسم الإسلام وباسم خلافة رسول الله صلى الله عليه و اله.

واستمرت معاناة المسلمين إلى يومنا هذا، حيث نرى حال الأمة وقد تسلط عليها الاستعمار العالمى والإمبريالية العالمية، فتنصب عملاءها من الحكام على الشعوب الإسلامية؛ لأجل اضطهادها ونهب خيراتها وإذلال المسلمين، والبعض من الحكام لايدعى أنه يمثل

الدين ولا يحكم باسم الإسلام، ولكن البعض منهم ومن أئمة الجور حكموا باسم الإسلام، فأساءوا للإسلام كدين وكمنهج حياة، فإن غير المسلم لما يرى تلك المجازر التى ارتكبوها وتلك الأحكام التى يطلقها أولئك الحكام، ضد أبناء جلدتهم وإخوانهم فى العقيدة، وبشاعة ما يقومون به، فإنهم يزعمون بأن هذا الدين دين باطل ودين ظلم وانتهاك حرمات، مع أن الإسلام برىء من ذلك تماماً؛ فإنه دين سماوى جاء من لدن غفور رحيم، رؤوف بالعباد، بواسطة رسول كريم يسمى بصاحب الخلق العظيم، فنرى البعض ممن التبس عليه أمر الإسلام وحقيقته يقول: بأن دين الإسلام قام على السيف؛ فهو لا يرى تأريخ الإسلام إلا من خلال هؤلاء الخلفاء، أو بالأحرى الملوك من بنى أمية وبنى العباس ومن سار بسيرتهم، ولكنه لو قرأ الفكر الإسلامى من خلال منهج أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم الوضاءة، وكيف كانوا يدعون إلى الإسلام الحقيقى الذى أتى به جدهم الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله ويبينون المسائل العالقة فى أذهان البشر، ويوجدون لها الحلول، يعرِف عظمة الإسلام ورحابته وأخلاقياته العالية.

وفى هذا الكتاب كما فى غيره يبين الإمام الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى (أعلى الله مقامه) بعض تلك المعاناة التى ألمت بالمسلمين، وكيف يمكن إيجاد الحلول لها، ومجابهة أئمة الجور وحكام الظلم، الذين يستغلون الطاقات الإسلامية من أجل مآربهم وخدمة أسيادهم من المستعمرين.

ونظراً لما نشعر به من مسؤولية كبيرة فى نشر مفاهيم الإسلام الأصيلة قمنا بطبع ونشر هذه السلسلة القيمة من المحاضرات الإسلامية التى منها هذا الكتاب لسماحة المرجع الراحل رحمة الله عليه والتى ألقاها فى فترة زمنية قد تتجاوز الأربعة عقود من الزمن فى العراق والكويت وإيران..

نرجو من المولى العلى القدير أن يوفقنا لطبع ونشر ما يتواجد منها، وأملًا بالسعى من أجل تحصيل المفقود منها وإخراجه إلى النور، لنتمكن من نشر سلسلة إسلامية كاملة ومختصرة تنقل إلى الأمة وجهة نظر الإسلام، تجاه مختلف القضايا الاجتماعية والسياسية الحيوية بأسلوب واضح وبسيط.. إنه سميع مجيب.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص.ب: ۵۹۵۵/ ۱۳

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

الإسلام وأزمة العاملين له

جاء فى الحديث الشريف: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء» ().

لقد بدأ الإسلام يتنفس أنفاسه الأولى يوم ولد على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله غريباً، ففى بداية الأمر لم يكن المؤمنين بهذا الدين الجديد سوى الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله والسيدة خديجة ? وأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

فقد ورد عن ابن عباس قال: أول من آمن برسول الله صلى الله عليه و اله من الرجال على عليه السلام، ومن النساء خديجة().?

وعن أبى عبد الله عليه السلام قال: «اكتتم رسول الله صلى الله عليه و اله بمكة مختفياً خائفاً خمس سنين ليس يظهر أمره، وعلى عليه السلام اكتتم معه وخديجة ?ثم أمره الله أن يصدع بما أمر به، فظهر رسول الله صلى الله عليه و اله وأظهر أمره».()

وروى عن أبى عبد الله عليه السلام أيضاً قال: «مكث رسول الله صلى الله عليه و اله بمكة بعد ما جاءه الوحى عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لا يظهر، حتى أمره الله أن يصدع بما أمر به فأظهر حينئذ الدعوة» ().

ثم بدأ الأفراد بالتفاعل مع هؤلاء الأطهار والدخول إلى الإسلام.

فالدعوة إذن مكية نسبة إلى مكة النشوء، والذين دخلوا إلى الإسلام كانوا مكيّين، ولكنهم كانوا غرباء فى مدينتهم وبين أهليهم حيث كانوا مهدَّدين بالقتل والاضطهاد والكره والعداوة من قبل طواغيت قريش وأعوانهم.

فكانت فى البداية مظاهر التخفّى والسريّة غالبة على أتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله؛ وبما أن الإسلام رفض الشرك وعبادة الأصنام؛ لذلك جوبه بأنواع عديدة من الأساليب الوحشية التى لاتعرف الرحمة. وهكذا بدأت المعركة بين المسلمين من جانب والكفّار والمنافقين من جانب آخر. ولكن الحق دائماً يعلو ولا يُعلى عليه، حيث قال تبارك وتعالى?: وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيا().?

وقال الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» ().

فوصل الإسلام إلى مشارق الأرض ومغاربها، وظلّ كصخرة صمّاء تتكسر عليها معاول الطغاة إلى أن رحل صاحب الرسالة إلى الرفيق الأعلى، وبموته بدأ البعض باقتناص الفرص، وتبديل معالم ومفاهيم الإسلام.

خلفاء الجور

لقد واجه الإسلام مشكلتين كبيرتين منذ رحلة الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله وإلى يومنا هذا، وعلى الذين يريدون عودة الإسلام ثانية إلى حياة المسلمين أن يرفعوا هاتين المعضلتين من البلاد الإسلامية.

المشكلة الأولى: هى خلفاء الجور، أو الحكام الظالمون الذين تسلَّطوا على رقاب المسلمين وبلادهم بمساعدة الأيادى الاستعمارية، ولهؤلاء الحكام من مظاهر الاستبداد والطغيان ما شمل كل مظاهر الحياة فى البلاد الإسلامية، مضافاً إلى ذلك استئثارهم بثروات وأموال الشعوب، وهتك أعراض الناس وسفك دمائهم.

وهؤلاء الحكام على قسمين:

القسم الأول: الحكام الذين يتصورون ويصورون أنفسهم خلفاء لرسول الله صلى الله عليه و اله، وهم يعرّفون الإسلام إلى الآخرين وفق ما يشتهون؛ لذا لابد من فضح مثل هؤلاء الحكام الظالمين، فالحكومة التى تدّعى الحرية والديمقراطية دون أن تطبق شيئاً من الحرية فى تفاعلها مع الشعب يلزم فضحها. حتى لا يتصور بعض الناس بأن الحرية هى هذه وحسب، أى إنها تعنى الاستبداد والدكتاتورية المعمول بها فى أغلب البلاد الإسلامية والمبطنة بشعارات وتطبيقات ما أنزل الله بها من سلطان.

من هنا كان على المسلمين الذين يريدون عودة نور الإسلام الساطع إلى حياة المسلمين مرة أخرى أن يُفشوا وينشروا حقيقة هؤلاء الحكام الظالمين وإعلام العالم كلّه بأنهم لا يمثلون المسلمين، ولا يطبقون شيئاً من الإسلام الحقيقى أبداً، وهؤلاء ليسوا إلاّ عصابات قفزت على كرسى الحكم. ويتم تمويه الأمور عبر الدعاية والإعلام المغرض وعبر تأليف الكتب وطبع الكثير منها ونشرها فى كافة مناطق العالم أو عبر بعض المشاريع الخيرية التى يغلب عليها الطابع الدعائى وباطنها هدام().

والقسم الثانى: هم الحكام الذين عملوا وما زالوا يعملون على محو الإسلام وإخماد ذكر الرسول الأعظم وأهل بيته عليهم السلام، وهم متكاتفون مع الغرب والشرق من أجل تشويه الإسلام، وإثارة الشكوك حول صاحب الرسالة وحول التشريع الإسلامى، وإثارة الشبهات حول الإسلام ورجاله المخلصين.

وهذا الأمر لم يغب عن بال الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله؛ ولذلك نراه كان يركز على مسألة الولاية من بعده وقيادة الأمة الإسلامية، فكان يكرّر ويقول صلى الله عليه و اله: «فإنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى وإن اللطيف الخبير أخبرنى أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض» ().

وورد عن أبى جعفر عليه السلام قال: «لما نزلت هذه الآية?: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاس بِإِمَامِهِم() ?قال المسلمون: يا رسول الله، ألست إمام الناس كلهم أجمعين؟

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: أنا رسول الله إلى الناس أجمعين، ولكن سيكون من بعدى أئمة على الناس من الله من أهل بيتى يقومون فى الناس، فيُكذَّبون، ويظلمهم أئمة الكفر والضلال وأشياعهم، فمن والاهم واتبعهم وصدَّقهم فهو منى ومعى وسيلقانى،

ألا ومن ظلمهم وكذبهم فليس منى ولا معى وأنا منه برىء» ().

وهؤلاء الحكام الظلمة بقسمَيْهم لم يطبقوا شيئاً مما أمر به الرسول صلى الله عليه و اله أبداً؛ لهذا دخل المسلمون بسبب انحراف قياداتهم فى متاهات كثيرة، وضلالات واضحة فى العقيدة.

فنرى الكثير من المسلمين اليوم يعتقدون بخلافة يزيد بن معاوية، والوليد بن عبد الملك بن مروان، وهارون العباسى، والمأمون العباسى، وغيرهم من خلفاء الجور() ويتصورون بأنهم خلفاء شرعيّون.

جاء عن رسول الله صلى الله عليه و اله أنه قال: «من حكم فى الدرهمين بحكم جور ثم أجبر عليه كان من أهل هذه الآية?: وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِکَ هُمُ الْكَافِرُونَ()».?

قلت: فكيف يجبر عليه؟

قال: «يكون له سوط و سجن فيحكم عليه، فإن رضى بحكومته، وإلا ضربه بسوطه وحبسه فى سجنه» ().

وعن سعيد بن أبى الخضيب البجلى قال: كنت مع ابن أبى ليلى مزامله حتى جئنا إلى المدينة، فبينا نحن فى مسجد الرسول صلى الله عليه و اله إذ دخل جعفر بن محمد عليه السلام فقلت لابن أبى ليلى: تقوم بنا إليه؟

فقال: وما نصنع عنده؟

فقلت: نسائله ونحدثه.

فقال: قم.

فقمنا إليه، فساءلنى عن نفسى وأهلى، ثم قال: «من هذا معک؟».

فقلت: ابن أبى ليلى قاضى المسلمين.

فقال له: «أنت ابن أبى ليلى قاضى المسلمين؟».

قال: نعم.

قال: «تأخذ مال هذا فتعطيه هذا، وتقتل، وتفرق بين المرء وزوجه، لا تخاف فى ذلک أحداً؟».

قال: نعم.

قال: «فبأى شيء تقضى؟».

قال: بما بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه و اله وعن على عليه السلام وعن أبى بكر وعمر.

قال: «فبلغک عن رسول الله صلى الله عليه و اله أنه قال: إن علياً عليه السلام أقضاكم؟».

قال: نعم.

قال: «فكيف تقضى بغير قضاء على عليه السلام وقد بلغک هذا، فما تقول إذا جيء بأرض من فضة وسماء من فضة، ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه و اله بيدک فأوقفک بين يدى ربک فقال: يا رب، إن هذا قضى بغير ما قضيت؟».

قال: فاصفر وجه ابن أبى ليلى حتى عاد مثل الزعفران، ثم قال لى: التمس لنفسک زميلا، والله لا أكلمک من رأسى كلمة أبداً ().

نعم، إن الانحرافات والضلالات إنّما جاءت نتيجة بذر الأفكار الضالة فى المجتمع من قبل الحكام الظالمين، وتحريف أقوال الرسول والمعصومين عليهم السلام. وليت الأمر قد توقف عند هذا الحد، ولم يتعدَّه إلى أصول الدين والأمور الخطيرة فى العقيدة، فنرى البعض يتصور بأن الله سبحانه وتعالى جسم، أو ظالم (والعياذ بالله)()، مما حدا ببعض علمائنا رضوان الله عليهم بمواجهة مثل هذه الانحرافات والضلالات، أمثال المحقق الطوسى()..

وشيخ الطائفة() والعلامة الحلى() وغيرهم (رحمة الله عليهم) قولاً وفعلاً.

ترک القوانين الإلهية

المشكلة الثانية: وهى متفرّعة عن المشكلة الأولى؛ إذ أن حكام الجور هم الذين مهدوا لها، هى مشكلة سن القوانين الغربية والاستعمارية وتطبيقها فى كافة مجالات الحياة. وقد جاءت هذه القوانين إلى المسلمين بعد احتلال البلاد الإسلامية وغزوها عسكرياً وفكرياً، وبقاء المستعمر فيها سنين طويلة، ثم وَضْعِهِ للعُمَلاء من بعد خروجه منها.

كل هذه الأمور أدّت إلى تلاشى وضياع القوانين والأحكام الإسلامية وهكذا ضاعت النداءات التى يصرّح بها القرآن الكريم دوماً فى سبيل بناء الأمة الإسلامية الواحدة، وغرس الأخوة الإسلامية، ومن أجل تحقق الحرية الإسلامية فى المجتمع وعمارة الأرض، وغيرها من الأحكام التى بيّناها فى كتبنا().

وإذا ما نظر الآخرون إلى ديننا، وهو بهذه الصورة التى رسمها الحكام الجائرون وعملاء المستعمرين، وبهذه الصورة الخالية من المحتوى والمضمون والمملوءة بالجور والاستبداد والدكتاتورية. فهم يرون أن الكفر الذى عندهم أفضل من الدين الذى عندنا؛ فالحرية والأخوة الموجودة فى البلاد الغربية أكثر بكثير من الحرية الموجودة فى البلاد الإسلامية التى انسلخت عن حقيقة الإسلام، وهكذا الوحدة والرأفة والشفقة الموجودة فيما بينهم أكثر من الرأفة والرحمة الموجودة لدينا، لقد أدت هذه الظاهرة إلى تأخر الأمة الإسلامية، فإن بروز هاتين المشكلتين الكبيرتين وقف بوجه انتشار الإسلام وهما كما أشرنا سابقاً:

١ سيطرة خلفاء السوء وحكام الجور فى المجتمعات الإسلامية.

٢ تطبيق القوانين الغربية فى البلاد الإسلامية المخالفة للموازين والأحكام الإلهية.

ولن ترتفع هاتان المشكلتان عن كاهل المسلمين وبلادهم، إلاّ بهمة رجال مخلصين، عاملين للإسلام والمسلمين بكل إخلاص وتفان، انطلاقاً من شعورهم بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم.

فالإسلام لا يعانى من أزمة فى الأفكار أو المفاهيم أو التشريع، بل من أزمة المخلصين الذين يدافعون عن حريمه بكل صدق، ولانعنى أن الساحة قد خلت منهم، ولكن نسبة العاملين المخلصين للإسلام مقارنة مع الاتجاهات الإلحادية والمشركة وإعلامهم وإضلالهم تعتبر أقل بكثير، والمطلوب مضاعفة الكم والكيف. ولعل القسم الأكبر من ذلك يقع على عاتق طلبة الحوزات العلمية والعلماء والمفكرين والكتّاب؛ إذ أنهم الحصن الحصين للدفاع عن ثغور الإسلام ومبادئه، ومن ثم يأتى دور سائر الناس وباقى أفراد المجتمع؛ لأنّهم أيضاً مسؤولون عن الرسالة المحمدية.

ولذا ورد فى الحديث الشريف عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو المسؤول عن رعيته، والرجل فى أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسؤولة عن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل فى مال أبيه راع وهو مسؤول عن رعيته، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» ().

وبذلك يخرج الإسلام من الغربة التى هو فيها الآن. فالمطلوب أن تصل كل مبادئ الإسلام إلى كل إنسان فى العالم، وفى حالة عدم تحقق ذلك فإن الإسلام يبقى غريباً، كما فى الحديث الشريف المذكور سابقاً .

العمل الإسلامى

قال الإمام الباقر عليه السلام: «لا شرف كبعد الهمة» ().

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين» ().

إن الإسلام يؤكد دائماً على العمل والإخلاص فيه وبعد الهمة. فعلى العاملين للإسلام، ومن أجل إعادة المجتمعات الإسلامية إلى التمسك بدينها وحمل مبادئه، أن يلتفتوا إلى هذه النقطة المهمة، وطالما أكد عليها النبى الأكرم صلى الله عليه و اله وحث المسلمين على عدم اليأس، وعدم التوقف؛ فالإسلام دائماً وأبداً يؤمن بالحركة، ويؤكد على العناصر الفعّالة؛ لذلك فهو يعتبر العمل عبادة، لأن العلم يعنى تقدّم عجلة المجتمع الإسلامى، وبالتالى تكون الفائدة لكافة البشر.

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس، اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال؛ إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفى لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه» ().

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «العلم مقرون إلى العمل، فمن علم عمل ومن عمل علم، والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه» ().

والرسول الأكرم صلى الله عليه و اله فى اللحظات الحرجة الصعبة كان يؤكد على المسلمين بعدم اليأس، ويبعث فيهم روح الأمل والنصر، فنراه فى موقف الأحزاب وقد أحاطه الأعداء وتكاتفوا عليه، وحاول بعض المسلمين الهروب من الساحة، حيث قال تعالى: ?يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ(). ?وبعض آخر منهم حاول أن يجد طريقاً للتوسل إلى المشركين، والحصول منهم على أمان خاص له()، إضافة إلى الظروف المناخيّة القاسية التى كانوا يمرون بها ... والحالة النفسية التى يمر بها الجيش الإسلامى، إلى درجة أن عمرو بن عبد ود العامرى عندما دعا المسلمين إلى البراز لم يجبه أحد، وتراجع الجميع إلّا أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، مع كل ذلك نرى أن الرسول الأكرم صلى الله عليه و اله كان يبشرهم بالفتوحات العظيمة كفتح بلاد كسرى وبلاد الروم()، ليرفع من الروح المعنويّة فيهم، وليهدم الحاجز النفسى الذى لفّهم باليأس والخيبة.

قصة الأحزاب

روى أن قوله تعالى ?: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً ? إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ? هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ? وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَ غُرُوراً() ?نزل فى قصة الأحزاب من قريش والعرب، الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه و اله، وذلك أن قريشاً تجمعت فى سنة خمس من الهجرة وساروا فى العرب وجلبوا، واستفزوهم لحرب رسول الله صلى الله عليه و اله فوافوا فى عشرة آلاف، ومعهم كنانة وسليم وفزارة، وكان رسول الله صلى الله عليه و اله حين أجلى بنى النضير وهم بطن من اليهود من المدينة وكان رئيسهم حيى بن أخطب، وهم يهود من بنى هارون عليه السلام فلما أجلاهم من المدينة صاروا إلى خيبر وخرج حيى بن أخطب وهم إلى قريش بمكة، وقال لهم: إن محمداً قد وتركم ووترنا، وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا، وأجلى بنى عمنا بنى قينقاع، فسيروا فى الأرض واجمعوا حلفاءكم وغيرهم، حتى نسير إليهم؛ فإنه قد بقى من قومى بيثرب سبعمائة مقاتل وهم بنو قريظة، وبينهم وبين محمد عهد وميثاق، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد صلى الله عليه و اله ويكونون معنا عليهم، فتأتونه أنتم من فوق، وهم من أسفل.

وكان موضع بنى قريظة من المدينة على قدر ميلين، وهو الموضع الذى يسمى بئر المطلب، فلم يزل يسير معهم حيى بن أخطب فى قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة، والأقرع بن حابس فى قومه، وعباس بن مرداس فى بنى سليم، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و اله فاستشار أصحابه وكانوا سبعمائة رجل، فقال سلمان الفارسى: يا رسول الله، إن القليل لا يقاوم الكثير فى المطاولة.

قال: «فما نصنع؟».

قال: نحفر خندقا يكون بيننا وبينهم حجابا فيمكنك منعهم فى المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه؛ فإنا كنا معاشر العجم فى بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق، فيكون الحرب من مواضع معروفة.

فنزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه و اله فقال: «أشار سلمان بصواب».

فأمر رسول الله صلى الله عليه و اله بحفره من ناحية أحد إلى رائح، وجعل على كل عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوما من المهاجرين والأنصار يحفرونه، فأمر فحملت المساحى والمعاول، وبدأ رسول الله صلى الله عليه و اله وأخذ معولا ـ فحفر فى موضع المهاجرين

بنفسه، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله صلى الله عليه و اله وعيى، وقال: «لا ـ عيش إلا عيش الآخرة، اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين».

فلما نظر الناس إلى رسول الله صلى الله عليه و اله يحفر اجتهدوا فى الحفر ونقلوا التراب، فلما كان فى اليوم الثانى بكروا إلى الحفر، وقعد رسول الله صلى الله عليه و اله فى مسجد الفتح، فبينا المهاجرون والأنصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه، فبعثوا جابر بن عبد الله الأنصارى إلى رسول الله صلى الله عليه و اله يعلمه بذلك، قال جابر: فجئت إلى المسجد ورسول الله مستلق على قفاه ورداؤه تحت رأسه، وقد شد على بطنه حجراً، فقلت: يا رسول الله، إنه قد عرض لنا جبل لم تعمل المعاول فيه.

فقام مسرعا حتى جاءه، ثم دعا بماء فى إناء، فغسل وجهه وذراعيه ومسح على رأسه ورجليه، ثم شرب ومج من ذلك الماء فى فيه ثم صبه على الحجر، ثم أخذ معولاً فضرب ضربة، فبرقت برقة، فنظرنا فيها إلى قصور الشام، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة، نظرنا فيها إلى قصور المدائن، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة أخرى نظرنا فيها إلى قصور اليمن.

فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: «أما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التى برقت فيها البرق» ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل.

فقال جابر: فعلمت أن رسول الله مقوى، أى جائع؛ لما رأيت على بطنه الحجر، فقلت: يا رسول الله، هل لك فى الغذاء؟

قال: «ما عندك يا جابر؟».

فقلت: عناق وصاع من شعير.

فقال: «تقدم وأصلح ما عندك».

قال: فجئت إلى أهلى، فأمرتها فطحنت الشعير وذبحت العنز وسلختها، وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوى، فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله صلى الله عليه و اله فقلت: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، قد فرغنا فاحضر مع من أحببت.

فقام صلى الله عليه و اله إلى شفير الخندق ثم قال: «معاشر المهاجرين والأنصار، أجيبوا جابراً».

قال جابر: وكان فى الخندق سبعمائة رجل فخرجوا كلهم، ثم لم يمر بأحد من المهاجرين والأنصار إلا قال: «أجيبوا جابراً».

قال جابر: فتقدمت وقلت لأهلى: والله قد أتاك محمد رسول الله صلى الله عليه و اله بما لا قبل لك به.

فقالت: أعلمته أنت بما عندنا؟

قال: نعم.

قالت: هو أعلم بما أتى.

قال جابر: فدخل رسول الله صلى الله عليه و اله فنظر فى القدر، ثم قال: «اغرفى وأبقى»، ثم نظر فى التنور، ثم قال: «أخرجى وأبقى» ثم دعا بصحفة فثرد فيها وغرف، فقال: «يا جابر، أدخل على عشرة».

فأدخلت عشرة فأكلوا حتى نهلوا وما يرى فى القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: «يا جابر، على بالذراع»، فأتيته بالذراع فأكلوه.

ثم قال: «أدخل على عشرة» فدخلوا فأكلوا حتى نهلوا وما يرى فى القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: «عليَّ بالذراع»، فأكلوا وخرجوا.

ثم قال: «أدخل على عشرة»، فأدخلتهم فأكلوا حتى نهلواً ولم ير فى القصعة إلا آثار أصابعهم.

ثم قال: «يا جابر، على بالذراع» فأتيته، فقلت: يا رسول الله، كم للشاة من ذراع؟

قال: «ذراعان».

فقلت: والذى بعثك بالحق نبيا لقد أتيتك بثلاثة!؟

فقال: «أما لو سكت يا جابر لأكلوا الناس كلهم من الذراع».

قال جابر: فأقبلت أدخل عشرة عشرة، فدخلوا فيأكلون حتى أكلوا كلهم وبقى والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياما.

قال: وحفر رسول الله صلى الله عليه و اله الخندق وجعل له ثمانية أبواب، وجعل على كل باب رجلا من المهاجرين ورجلا من الأنصار مع جماعة يحفظونه، وقدمت قريش وكنانة وسليم و هلال فنزلوا الرغابة.

ففرغ رسول الله صلى الله عليه و اله من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، فأقبلت قريش ومعهم حيى بن أخطب فلما نزلوا العقيق جاء حيى بن أخطب إلى بنى قريظة فى جوف الليل، وكانوا فى حصنهم قد تمسكوا بعهد رسول الله صلى الله عليه و اله، إلى أن قال فقال أى حيى بن أخطب : ويلك يا كعب، انقض العهد الذى بينك وبين محمد ولاترد رأيى؛ فإن محمداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً، فإن فاتك هذا الوقت لا تدرك مثله أبداً.

قال: واجتمع كل من كان فى الحصن من رؤساء اليهود، مثل: غزال بن شمول وياسر بن قيس ورفاعة بن زيد والزبير بن ياطا، فقال لهم كعب: ما ترون؟

قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا وأنت صاحب عهدنا، فإن نقضت نقضنا وإن أقمت أقمنا معك، وإن خرجت خرجنا معك.

فقال الزبير بن ياطا، وكان شيخا كبيرا مجربا قد ذهب بصره: قد قرأت التوراة التى أنزلها الله فى سفرنا، بأنه يبعث نبيا فى آخر الزمان يكون مخرجه بمكة، ومهاجرته بالمدينة إلى البحيرة، يركب الحمار العربى ويلبس الشملة، ويجتزى بالكسيرات والتميرات، وهو الضحوك القتال، فى عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوة، يضع سيفه على عاتقه، لا يبالى من لاقاه، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر، فإن كان هذا هو فلا يهولنه هؤلاء وجمعهم، ولو ناوته هذه الجبال الرواسى لغلبها.

فقال حيى: ليس هذا ذلك، وذلك النبى من بنى إسرائيل وهذا من العرب من ولد إسماعيل، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعا لولد إسماعيل أبداً؛ لأن الله قد فضلهم على الناس جميعاً وجعل منهم النبوة والملك، وقد عهد إلينا موسى ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وليس مع محمد آية، وإنما جمعهم جمعاً وسحرهم، ويريد أن يغلبهم بذلك، فلم يزل يقلبهم عن رأيهم حتى أجابوه، فقال لهم: أخرجوا الكتاب الذى بينكم وبين محمد، فأخرجوه فأخذه حيى بن أخطب ومزقه، وقال: قد وقع الأمر، فتجهزوا وتهيئوا للقتال.

وبلغ رسول الله صلى الله عليه و اله ذلك فغمه غما شديداً وفزع أصحابه، فقال رسول الله صلى الله عليه و اله لسعد بن معاذ وأسيد بن حصين، وكانا من الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس، فقال لهما: «ائتيا بنى قريظة فانظروا ما صنعوا، فإن كانوا نقضوا العهد فلا تعلما أحداً إذا رجعتما إلى، وقولا عضل والفارة».

فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حصين إلى باب الحصن، فأشرف عليهما كعب من الحصن فشتم سعداً وشتم رسول الله صلى الله عليه و اله فقال له سعد: إنما أنت ثعلب فى جحر، لنولين قريشاً وليحاصرنك رسول الله صلى الله عليه و اله ولينزلنك على الصغر والقماع وليضربن عنقك.

ثم رجعا إلى رسول الله صلى الله عليه و اله فقالا: عضل والفارة.

فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: «لعناء، نحن أمرناهم بذلك» وذلك أنه كان على عهد رسول الله صلى الله عليه و اله عيون لقريش يتجسسون خبره، وكانت عضل والفارة قبيلتان من العرب دخلا فى الإسلام، ثم غدرا، فكان إذا غدر أحد ضرب بهذا المثل، فيقال: عضل والفارة.

ورجع حيى بن أخطب إلى أبى سفيان وقريش فأخبرهم بنقض بنى قريظة العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه و اله ففرحت قريش بذلك، فلما كان فى جوف الليل جاء نعيم بن مسعود الأشجعى إلى رسول الله صلى الله عليه و اله وقد كان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام، فقال: يارسول الله، قد آمنت بالله وصدقتك وكتمت إيمانى عن الكفرة، فإن أمرتنى أن آتيك بنفسى وأنصرك

بنفسی فعلت، وإن أمرت أن أخذِّل بين اليهود وبين قريش فعلت؛ حتى لا يخرجوا من حصنهم؟

فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: «اخذل بين اليهود وقريش، فإنه أوقع عندی».

قال: فتأذن لی أن أقول فيک ما أريد؟

قال: «قل ما بدا لک».

فجاء إلی أبی سفيان فقال له: تعرف مودتی لکم ونصحی ومحبتی أن ينصرکم الله علی عدوکم، وقد بلغنی أن محمداً قد وافق اليهود، أن يدخلوا بين عسکرکم ويميلوا عليکم، ووعدهم إذا فعلوا ذلک أن يرد عليهم جناحهم الذی قطعه لبنی النضير وقينقاع، فلا أری لکم أن تدعوهم يدخلوا فی عسکرکم حتی تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلی مکة، فتأمنوا مکرهم وغدرهم.

فقال أبو سفيان: وفقک الله وأحسن جزاک، مثلک أهدی النصائح، ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نعيم، ولا أحد من اليهود.

ثم جاء من فوره ذلک إلی بنی قريظة فقال: يا کعب، تعلم مودتی لکم، وقد بلغنی أن أبا سفيان قال: تخرج هؤلاء اليهود فنضعهم فی نحر محمد، فإن ظفروا کان الذکر لنا دونهم، وإن کانت علينا کانوا هؤلاء مقاديم الحرب، فلا أری لکم أن تدعوهم يدخلوا عسکرکم حتی تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يکونون فی حصنکم، إنهم إن لم يظفروا بمحمد لم يبرحوا حتی يردوا عليکم عهدکم وعقدکم بين محمد وبينکم؛ لأنه إن ولت قريش ولم يظفروا بمحمد غزاکم محمد فيقتلکم.

فقالوا: أحسنت وأبلغت فی النصيحة، لا نخرج من حصننا حتی نأخذ منهم رهنا يکونون فی حصننا.

وأقبلت قريش، فلما نظروا إلی الخندق قالوا: هذه مکيدة، ما کانت العرب تعرفها قبل ذلک!

فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسی الذی معه، فوافی عمرو بن عبد ود وهبيرة بن وهب وضرار بن الخطاب إلی الخندق، وکان رسول الله صلى الله عليه و اله قد صف أصحابه بين يديه، فصاحوا بخيلهم حتی طفروا الخندق إلی جانب رسول الله صلى الله عليه و اله فصاروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله کلهم خلف رسول الله صلى الله عليه و اله وقدموا رسول الله صلى الله عليه و اله بين أيديهم، وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه من إخوانه: أما تری هذا الشيطان عمرو، لا والله ما يفلت من يديه أحد، فهلموا ندفع إليه محمداً ليقتله ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله علی نبيه فی ذلک الوقت قوله?: قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْکُمْ والْقائِلِينَ لإخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا ولا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلا قَلِيلا ? أَشِحَّةً عَلَيْکُمْ إلی قوله وکانَ ذلِکَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً () ?ورکز عمرو بن عبد ود رمحه فی الأرض، وأقبل يجول حوله ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء

بجمعکم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن الشجاع

مواقف القرن المناجز

إنی کذلک لم أزل

متسرعا نحو الهزاهز

إن الشجاعة فی الفتی

والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: «من لهذا..؟».

فلم يجبه أحد.

فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: «أنا له يا رسول الله» فقال: «يا علی، هذا عمرو بن عبد ود فارس يليل».

قال: «أنا علی بن أبی طالب».

فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: «ادن منى».

فدنا منه، فعممه بيده، ودفع إليه سيفه ذا الفقار، فقال له: «اذهب وقاتل بهذا»، وقال: «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته».

فمر أمير المؤمنين عليه السلام يهرول فى مشيه وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك

مجيب صوتك غير عاجز

ذو نية وبصيرة

والصدق منجى كل فائز

إنى لأرجو أن أقيم

عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى

صوتها بعد الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟.

قال: «أنا على بن أبى طالب، ابن عم رسول الله صلى الله عليه و اله وختنه».

فقال: والله، إن أباك كان لى صديقاً قديماً، وإنى أكره أن أقتلك، ما آمن ابن عمك حين بعثك إلى أن أختطفك برمحى هذا، فأتركك شائلًا بين السماء والأرض لا حى ولا ميت؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «قد علم ابن عمى أنك إن قتلتنى دخلتُ الجنة وأنت فى النار، وإن قتلتك فأنت فى النار وأنا فى الجنة».

فقال عمرو: وكلتاهما لك يا على، تلك إذا قسمة ضيزى!

قال على عليه السلام: «دع هذا يا عمرو، إنى سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة، تقول: لا يعرضن على أحد فى الحرب ثلاث خصال إلا أجبته إلى واحدة منها، وأنا أعرض عليك ثلاث خصال فأجبنى إلى واحدة».

قال: هات يا على.

قال: «أحدها تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله».

قال: نح عنى هذه فاسأل الثانية.

فقال: «أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله صلى الله عليه و اله فإن يك صادقاً فأنتم أعلى به عينا، وإن يك كاذبا كفتكم ذؤبان العرب أمره».

فقال: إذاً لا تتحدث نساء قريش بذلك، ولا تنشد الشعراء فى أشعارها أنى جبنت ورجعت على عقبى من الحرب وخذلت قوما رأسونى عليهم.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «فالثالثة أن تنزل إلى فإنك راكب وأنا راجل حتى أنابذك».

فوثب عن فرسه وعرقبه وقال: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومنى عليها.

ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه فاتقاه أمير المؤمنين بدرقته فقطعها وثبت السيف على رأسه.

فقال له على عليه السلام: «يا عمرو أما كفاك أنى بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت على بظهير». فالتفت عمرو إلى خلفه فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعا على ساقيه قطعهما جميعا وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون: قتل على بن أبى طالب عليه

السلام، ثم انكشف العجاجة، فنظروا فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، فذبحه ثم أخذ رأسه، وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه و اله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم وهو يقول والرأس بيده :

«أنا على وابن عبد المطلب

الموت خير للفتى من الهرب»

فقال رسول الله صلى الله عليه و اله: «يا على، ماكرته؟».

قال: «نعم يا رسول الله؛ الحرب خديعة».

وبعث رسول الله صلى الله عليه و اله الزبير إلى هبيرة بن وهب فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وأمر رسول الله صلى الله عليه و اله عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهما، فقال ضرار: ويحك يا ابن صهاك أترميني في مبارزة! والله لئن رميتنى لا تركت عدويا بمكة إلا قتلته، فانهزم عنه عمر ومر نحوه ضرار وضربه على رأسه بالقناة، ثم قال: احفظها يا عمر، فإني آليت أن لا أقتل قرشيا ما قدرت عليه، فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولى، فولاه.

فبقى رسول الله صلى الله عليه و اله يحاربهم في الخندق خمسة عشر يوماً إلى أن قال فلما طال على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله الأمر واشتد عليهم الحصار، وكانوا في وقت برد شديد وأصابتهم مجاعة وخافوا من اليهود خوفا شديدا، وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا ـ نافق إلا ـ القليل، وقد كان رسول الله صلى الله عليه و اله أخبر أصحابه أن العرب تتحزب ويجيئون من فوق وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وأنه ليصيبهم جهد شديد، ولكن تكون العاقبة لى عليهم، فلما جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون؟: ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلا غُرُوراً().؟

وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة فقالوا: يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا؛ فإنها في أطراف المدينة وهى عورة ونخاف اليهود أن يغيروا عليها؟

وقال قوم: هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب؛ فإن الذى كان يعدنا محمد كان باطلا كله. وكان رسول الله صلى الله عليه و اله أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم، فلا يزال الليل كله قائماً وحده يصلى، فإذا أصبح رجع إلى مركزه، ومسجد أمير المؤمنين هناك معروف يأتيه من يعرفه فيصلى فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشابة، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه و اله من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلى مسجد الفتح وهو الجبل الذى عليه مسجد الفتح اليوم، فدعا الله وناجاه فيما وعده وكان مما دعاه أن قال:

«يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين ويا كاشف الكرب العظيم، أنت مولاى ووليى وولى آبائى الأولين، اكشف عنا غمنا وهمنا وكربنا، واكشف عنا شر هؤلاء القوم بقوتك وحولك وقدرتك».

فنزل عليه جبرئيل فقال: «يا محمد، إن الله قد سمع مقالتك وأجاب دعوتك، وأمر الدبور وهى الريح مع الملائكة أن تهزم قريشا والأحزاب».

وبعث الله على قريش الدبور فانهزموا وقلعت أخبيتهم، ونزل جبرئيل فأخبره بذلك.

فنادى رسول الله صلى الله عليه و اله حذيفة بن اليمان، وكان قريبا منه فلم يجبه، ثم ناداه فلم يجبه، ثم ناداه الثالثة، فقال: لبيك يا رسول الله.

قال: «أدعوك فلا تجيبنى؟».

قال: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى من الخوف والبرد والجوع.

فقال: «ادخل في القوم وائتنى بأخبارهم، ولا ـ تحدثن حدثا حتى ترجع إلى؛ فإن الله قد أخبرنى أنه قد أرسل الرياح على قريش

فهزمهم».

قال حذيفة: فمضيت وأنا انتفض من البرد، فوالله ما كان إلا بقدر ما جزت الخندق حتى كأنى فى حمام، فقصدت خباء عظيما فإذا نار تخبو وتوقد، وإذا خيمة فيها أبو سفيان قد دلى خصيتيه على النار وهو ينتفض من شدة البرد، ويقول: يا معشر قريش، إن كنا نقاتل أهل السماء، بزعم محمد، فلا طاقة لنا بأهل السماء، وإن كنا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم، ثم قال: لينظر كل رجل منكم إلى جليسه لا يكون لمحمد عين فيما بيننا، قال حذيفة: فبادرت أنا فقلت للذى عن يمينى: من أنت؟

فقال: أنا عمرو بن العاص.

ثم قلت للذى عن يسارى من أنت.

قال: أنا معاوية.

وإنما بادرت إلى ذلك لئلا يسألنى أحد من أنت، ثم ركب أبوسفيان راحلته وهى معقولة، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه و اله قال: «لاتحدث حدثا حتى ترجع إلى» لقدرت أن أقتله.

ثم قال أبو سفيان لخالد بن الوليد يا أبا سليمان، لابد من أن أقيم أنا وأنت على ضعفاء الناس، ثم قال: ارتحلوا إنا مرتحلون، ففروا منهزمين.

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه و اله قال لأصحابه: «لا تبرحوا»، فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة وبقى رسول الله صلى الله عليه و اله فى نفر يسير.

وكان ابن فرقد الكنانى رمى سعد بن معاذ رحمه الله بسهم فى الخندق فقطع أكحله، فنزفه الدم، فقبض سعد على أكحله بيده، ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها، فلا أجد أحب إلى محاربتهم من قوم حادوا الله ورسوله، وإن كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله صلى الله عليه و اله وبين قريش فاجعلها لى شهادة، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة، فأمسك الدم وتورمت يده. وضرب رسول الله له فى المسجد خيمة وكان يتعاهده بنفسه، فأنزل الله?: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وجُنُوداً لَمْ تَرَوْها وكانَ اللَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيراً ?إِذْ جاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ ومِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ? يعنى بنى قريظة حين غدروا وخافوهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و اله? وإِذْ زاغَتِ الأَبْصارُ وبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ ?إلى قوله: ?إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِراراً() ?وهم الذين قالوا لرسول الله صلى الله عليه و اله: تأذن لنا نرجع إلى منازلنا؛ فإنها فى أطراف المدينة ونخاف اليهود عليها؟

فأنزل الله فيهم?: إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلا فِراراً إلى قوله وكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً() ?ونزلت هذه الآية فى فلان لما قال لعبد الرحمن بن عوف: هلم ندفع محمداً إلى قريش، ونلحق نحن بقومنا.

ثم وصف الله المؤمنين المصدقين بما أخبرهم رسول الله صلى الله عليه و اله ما يصيبهم فى الخندق من الجهد، فقال:

?ولَمَّا رَأَ الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ ... وما زادَهُمْ إِلا إِيماناً() ?يعنى: ذلك البلاء والجهد والخوف. انتهى.()

إذن، على من يعمل للإسلام أن يتذكر هذه المواقف جيداً ويعتبر بها، ولا يركن إلى اليأس، بل عليه أن لا يعطى لنفسه مجالاً كى يفكر باليأس والتراجع والفشل، وعليه أن يُقدم متأسياً بأمير المؤمنين عليه السلام حينما أحجم القوم وقام بها، حتى قال فيه الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله: «أبشر يا على، فلو وزن اليوم عملك بعمل أمة محمّد صلى الله عليه و اله لرجح عملك بعملهم وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو، ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو» ().

وروى عن عبد الله بن مسعود قال: وكفى الله المؤمنين القتال بعلى().

وقال رسول الله صلى الله عليه و اله أيضاً: «لضربة على لعمرو بن عبد ود أفضل من عمل أمتى إلى يوم القيامة» ().

فالعاملون يجب أن يكونوا مصداقاً للآية الشريفة?: مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ

يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا() ?أى ثبتوا على المبدأ، واستقاموا من أجل نشره والحفاظ عليه.

فقد روى عن حذيفة بن اليمان قال: لما دعا عمرو إلى المبارزة أحجم المسلمون كافة ما خلا علياً، فإنه برز إليه فقتله الله على يديه، والذى نفس حذيفة بيده، لعمله فى ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيامة، وكان الفتح فى ذلك اليوم على يد على عليه السلام، وقال النبى صلى الله عليه و اله: «لضربة على خير من عبادة الثقلين» ().

مقارعة الطاغوت

وليعلم العاملون، أن مقارعة الطاغوت ليس بالأمر الهيّن، ولكنها فى الوقت نفسه ليست بالأمر المستحيل، غاية الأمر أن مسالة التغلب عليه تتوقف على مجموعة من الأسباب التى يجب أن تكون سابقة على تحقق النصر، وإلاّ فالنصر لا يُعطى لطالبيه بارزاً جاهزاً على طبق من ذهب وفضة.

فالنبى موسى عليه السلام قبل أن يخوض الصراع الفعلى مع فرعون أعطاه الله آيتين، العصا ويده البيضاء، لتكونا برهاناً على صدقه، لعل فرعون يرجع عن غيه وعساه أن يذعن للأمر، ولكننا نرى موسى عليه السلام مع ذلك يطلب من الله أمراً آخر، وهو السند والوزير، فقال?: قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ?وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي?وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي?يَفْقَهُوا قَوْلِي?وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي ?هارُونَ أَخِي?اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي() ?وذلك كما قال هو: لكى يتقوى أكثر على مقارعة فرعون. فهو هنا يعمل على تهيئة سبب مادىّ ومعنوى ضرورى، وهنا تظهر كفاءته فى الطلب وفى الاختبار، وإلى جانب ذلك يطلب أموراً أخرى أيضاً، أى يعمل على تهيئة أسباب بعضها مادى والآخر معنوى?: قالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ?وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي?وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي?يَفْقَهُوا قَوْلِي().?

تهيئة أسباب النصر

وهكذا، فالعاملون لابدّ أن يعملوا على محورين:

أولهما: الثبات.

وثانيهما: تهيئة أسباب النصر.

وكلاهما يتخللهما العنصر الغيبى الذى لابدّ منه، ولكن حتى هذا العنصر الغيبى يتطلب سبباً أيضاً، وهو الدعاء والتوجه إلى الله بقلب سليم مطمئن، فقد قال تعالى?: قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ().?

وهذا العنصر هو الفارق الرئيسى والجوهرى بين العمل الإسلامى والعمل غير الإسلامى، ذلك لأن العمل الإسلامى دائماً يكون مؤطّراً به، وأما عمل الطواغيت فيكون عملاً ـ مادّياً بحتاً، فتراه عندما يفشل ويسقط تتبدّد كل أعماله?: كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف()، ?فلا يبقى من القصور والإمبراطوريات إلاّ رسمها، وشىء من الذكريات المرّة. بينما العمل الإسلامى الخالص لله تبارك وتعالى فإنه يبقى خالداً فى الدنيا إلى آخر الدهر؛ لأن يد الغيب هى التى تحافظ عليه وتجعله مناراً وأُسوة حسنة يُقتدى به.

ثم إنه ليس هناك فرق بين طواغيت الأمس واليوم إلاّ ـ فى الصورة، ولازم ذلك أن تختلف بعض الأساليب التى استخدمها العاملون بالأمس. فالحكام سابقاً على الرغم من سيطرتهم الفعلية على دقّة الحكم وبطشهم وظلمهم ووضع الشرطة والجواسيس على الناس، إلاّ أن ظاهرة اللاـ نظام كانت سائدة، أما حكام اليوم فحيلهم منظمة ومرتبة، ومواجهة ذلك يقتضى أن ينتظم العاملون ويكون عملهم منظماً أيضاً، لكى يصمد أمام المواجهات والتحديات المنظمة.

من واقع الطواغيت

قال تبارك وتعالى?: إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَها شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْناءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِساءهُمْ إِنَّهُ كانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ().?

إن عادة الطغاة إشاعة الفساد فى الأرض بحرق النسل والحرث وما أشبه، وذلك من خلال قناتين:

۱ الإرهاب، المتمثل بالقتل والسجن والتعذيب وبثّ الجواسيس وشراء الضمائر ومحاربة الدين.

۲ التفرّد بالأموال وثروات الشعب وصرفها على ما تشتهى أنفسهم، وحرمان الناس منها.

وبكلمة أخرى: إنّهم يسيطرون على الناس من خلال الجهاز السياسى والاقتصادى، أما الجانب الاجتماعى فهو مرتبط بذينك العاملين السابقين، فكلما فسد اقتصاد البلد وصودرت الثروات، عاش الناس فى فقر مُدقع، وتكون عاقبة ذلك الفساد بالطبع الانحراف الأخلاقى.

وهكذا بالنسبة للجانب السياسى وتأثيره على الوحدة الاجتماعية للناس، ومن أشد الأمور التى تجعل المجتمع متأثراً، وتسوده الفوضى، هو تلاعب الطغاة بالأموال يميناً وشمالاً، وحرق الملايين على شهواتهم وملذاتهم وحرمان الشعب من ثرواته، فإن هذا النوع من السلوك يخلق لدى الجماهير سخطاً عاماً ربما يتبعه تصادم عنيف؛ لأن الجماهير تشعر بأن السلطة تسرق أموالها وخيراتها وتتمتع بها، وهم يعيشون فى أحوال تعيسة وظروف صعبة، وهذا من أسباب خلق المعارضة مما يضطر الطاغية لأن يجابه تحرك الجماهير بكل قوة وعنف وإرهاب، خوفاً على كرسيه، فيكافح كل من يعترض على سلوكه وتصرفاته بكل قساوة.

حكّام لا حكمة لهم

نقل عن خلافة الأمين بن هارون العباسى أنه عند ما ملك، وجّه إلى البلدان فى طلب الملهين وأجرى لهم الأرزاق، واقتنى الوحوش والسباع والطيور واحتجب عن أهل بيته وأمرائه، واستخفّ بهم، ومحق ما فى بيوت الأموال، وضيّع الجواهر والنفائس، وبنى عدّة قصور للّهو فى أماكن مختلفة، وأجاز مرة أحد المغنين بأن ملأ له زورقه ذهباً. بينما كان الكثير من الجماهير فى حكمه يعيش أسوء حالات الفقر().

وهكذا الحال مع الطاغية صدام() فى العراق، فإنه يتمتع بمعيشة بذخ وإسراف، ويقضى كل شهواته الحيوانية، وملذاته الطائشة هو وأعوانه، بينما يعيش العراقيون فى أوضاع مأساوية وظروف قاسية، فمئات الآلاف من المهجّرين والمهاجرين()، ومئات الآلاف يقبعون فى قعر السجون، فضلاً عن الحالة التى يعيشها الملايين من الشعب العراقى المظلوم، وكثرة الصعوبات والمضايقات. وعندما يثور الشعب ويغضب ضد هذه الأساليب اللاإنسانية ترى الطغاة كيف يقمعونها بوحشية نادرة قلّما نجد لها مثيلاً()، وأساليبهم معروفة للعالم كله.

وهكذا الحال فى غيره من الرؤساء، الذين لا تراهم الشمس، ولا يعرفون للحر والبرد والجوع والفقر معنى، بينما تعيش الملايين من شعوبهم حالة البطالة والفقر والانزلاق الأخلاقى، وتفشى كل أنواع الفاحشة والجريمة.

فهذا واقع الطغاة، وهذه أساليبهم، وهذا طراز حياتهم، لايختلف الواحد عن الآخر إلّا فى بعض الشكليات، وإلّا فالمضمون والجوهر واحد، أى: إن الروح العدائية للجماهير موجودة فى قلب كل منهم، ولكن كل يعرفها بشكل أو بآخر وهؤلاء الطغاة هم من أكثر مشاكل المسلمين ومعاناة الأمة.

طغيان الحجّاج

كان الحجاج بن يوسف الثقفى() من الطغاة الذين استولوا على الحكم الإسلامى فإنه، الذى يعتبر واحد من أشهر طغاة التاريخ كان والياً لبنى أمية الذين حكموا البلاد بالظلم والجور والاستبداد، عُرف الحجاج بأسلوبه البشع فى تعذيب السجناء؛ حيث ذكر فى كتب السيرة والتاريخ أنه كان قد صنع سجناً مكشوفاً يضم بداخله ما لا يقلّ عن مائة ألف سجين من الرجال والنساء بصورة مختلطة، يلاقون أشدَّ وأقسى الظروف المناخية كالحرِّ والبرد، ويعانون من صنوف التعذيب الجسدى والنفسى.

وفى التاريخ: أنه قد أحصى من قتله صبراً سوى من قتل فى عساكره وحروبه، فوجد مائة وعشرين ألفاً، مات وفى حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة، منهن ستة عشر ألفاً مجردة، وكان يحبس النساء والرجال فى موضع واحد().

وكان الحاكم الأموى عبد الملك بن مروان يؤيِّد كل أعمال الحجاج، ويُمدّه بما يحتاج إليه؛ وكيف لا، وهو القائل حينما استلم

مقاليد الخلافة: والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلّا ضربت عنقه().

وهو الذي حين أفضى الأمر إليه، وكان المصحف في حجره فأطبقه وقال: هذا آخر العهد بك()، وليس هذا فحسب، بل إنه عندما حضرته الوفاة جعل يوصي ابنه الوليد بالحجاج خيراً، رغم علمه بوحشيته وولعه بالدماء، فيقول لابنه: وانظر الحجاج فأكرمه، فإنه هو الذي وطّأ لكم المنابر، وهو سيفك، يا وليد، ويدك على من ناواك، فلا تسمعنَّ فيه قول أحد، وأنت إليه أحوج منه إليك، وادع الناس إذا متُّ إلى البيعة؛ فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا().

ثم يعلِّق السيوطي فيقول: لو لم يكن من مساوىء عبد الملك إلّا الحجّاج، وتوليته إياه على المسلمين وعلى الصحابة، يهينهم ويُذِلُّهم قتلًا وضرباً وشتماً وحبساً، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين مالا يحصى، فضلًا عن غيرهم، وختم في عنق

أنس وغيره من الصحابة ختماً، يريد بذلك ذُلّهم فلا رحمه الله ولا عفا عنه().

وقيل للشعبي: أكان الحجاج مؤمناً؟

قال: نعم بالطاغوت!

وكان الشعبي يقول: لو جاءت كل أُمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم(). ومما ينقل أن الحجاج كان في صغره لا يقبل الثدي، وأعياهم أمره، فيقال: إن الشيطان تصوّر له في صورة الحرث بن كلدة حكيم العرب، فسألهم عن ذلك، فأخبره مخبر من أهله، فقال لهم: إذبحوا له تيساً وألعقوه من دمه، وأولغوه فيه، ثم اطلوا به وجهه، ففعلوا ذلك، فقبل الثدي؛ فلأجل ذلك كان لا يصبر على سفك الدماء، وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذّاته سفك الدماء، وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها().

ومن ذلك ما روى: أن الحجاج بن يوسف الثقفي قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلا من أصحاب أبي تراب فأتقرب إلى الله بدمه! فقيل له: ما نعلم أحدا كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه.

فبعث في طلبه، فأتي به، فقال له: أنت قنبر؟

قال: نعم.

قال: أبو همدان؟

قال: نعم.

قال: مولى علي بن أبي طالب؟

قال: الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي.

قال: ابرأ من دينه؟

قال: فإذا برئت من دينه تدلني على دين غيره أفضل منه.

قال: إني قاتلك، فاختر أي قتلة أحب إليك؟

قال: قد صيرت ذلك إليك.

قال: ولم؟

قال: لأنك لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، وقد أخبرني أمير المؤمنين عليه السلام أن ميتتي تكون ذبحا ظلما بغير حق.

قال: فأمر به فذبح().

ولكن مع كبريائه وجبروته وبطشه الشديد، نراه ذليلًا لشهوته، منقاداً لهواه، تعيس الحظّ حتى مع النساء.

الحجّاج على لسان إحدى زوجاته

فقد حكى أن هنداً إبنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها. فوصِف للحجاج حسنها، فأنفذ إليها يخطبها، وبذل لها مالاً وافراً، وتزوج بها، وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم، ودخل بها، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول:

وما هند إلّا مهرةٌ عربيةٌ قصى

سليلة أفراسٍ تحلَّلها بغل

فإن وَلَدت فحلاً فلله درُّها

وإن ولدت بغلاً فجاء به البغل

فسمعها الحجاج فانصرف ولم يدخل عليها، ثم بعث عبد الله بن طاهر ليطلّقها فأعطاها المائتى ألف درهم، فقالت: جئت بها بشارة بخلاصى من كلب بنى ثقيف. ثم بعد ذلك بلغ عبد الملك بن مروان خبرها، فأرسل إليها يخطبها، فاشترطت عليه: أن يقود الحجاج محملى إلى بلدك التى أنت فيها، ويكون ماشياً حافياً، فلما علم عبد الملك شرطها ضحك وأنفذ إلى الحجاج وأمره بذلك، فامتثل الحجاج لذلك. فهذا هو الحجاج().

وكذلك هو واقع الظلمة والطغاة، الذين ينقضّون بكل قواهم على المستضعفين، فى حين أن قوتهم وجبروتهم هذه تذوب أمام النساء والملَذّات الأخرى.

إن السلوك الذى يمارسه الجبابرة على الأمم والشعوب، وإن أخضعها حيناً إلّا أنها ما تلبث أن تفلت وتتمرد على الطاغوت وتخرج من ربقته؛ لأن القوة والبطش والرعب والسجون كل ذلك لا يكون نظاماً للناس، أو منهاجاً لحياتهم، بل إنها تخلق جوّاً إرهابياً يخشاه الناس حيناً، ثم ينقلب الأمر على الطاغوت.

نعم، إن من معاناة الإسلام والمسلمين هؤلاء الطغاة وسياستهم المنحرفة واللاعقلائية، فإنها تبعث فى كثير من الأحيان فى نفوس الأمة الخوف والهزيمة، وذوبان القيم الأخلاقية وانصهارها فى اللاشعور، وتظهر أساليب وسلوكيات أخرى تعكس واقعهم المزرى، وضحالة الحالة الاجتماعية، أمثال المكر والرشوة والوشاية والتجسس، وغيرها.

الأسباب والمسببات

فعلى الأفراد والأمم أن يسألوا أنفسهم: لماذا يتسلط هؤلاء الطغاة عليهم؟

وما هى الأسباب التى دعت لذلك؟

ثم ما هى الأساليب التى بها يمكن إزالة حكم هؤلاء الظلمة؟

يقول الله تعالى?: إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ().?

إذاً هناك منهج ربّانى تحكمه قوانين إلهية دقيقة لا بد أن يلتفت إليها الإنسان؛ ولهذا جاء التأكيد على التدبر فى آيات القرآن؛ لأن فيها بيان سنن الله فى الحياة، ولكن الإنسان هو الذى لا يلتفت إليها.

إن قانون الأسباب والمسببات هو الذى يحكم الكون بنظامه الصارم، فلكل معلول علة، ولكل فعل ردّ فعل، ولكل عمل نتيجة أو نتائج.

قال الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام: «الذنوب التى تغير النعم: البغى على الناس والزوال عن العادة فى الخير واصطناع المعروف، وكفران النعم وترك الشكر، قال الله تعالى?: إِنَّ اللهَ لايُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ ().?

والذنوب التى تورث الندم: قتل النفس التى حرم الله، قال الله تعالى فى قصة قابيل حين قتل أخاه هابيل فعجز عن دفنه?: فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ().?

وترك صلة القرابة حتى يستغنوا، وترك الصلاة حتى يخرج وقتها، وترك الوصية ورد المظالم، ومنع الزكاة حتى يحضر الموت وينغلق اللسان.

والذنوب التى تنزل النقم: عصيان العارف بالبغى، والتطاول على الناس، والاستهزاء بهم، والسخرية منهم.

والذنوب التى تدفع القسم: إظهار الافتقار، والنوم عن العتمة، وعن صلاة الغداة، واستحقار النعم، وشكوى المعبود عزوجل.

والذنوب التى تهتك العصم: شرب الخمر، واللعب بالقمار، وتعاطى ما يضحك الناس من اللغو والمزاح، وذكر عيوب الناس، ومجالسة أهل الريب.

والذنوب التى تنزل البلاء: ترك إغاثة الملهوف، وترك معاونة المظلوم، وتضييع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والذنوب التى تديل الأعداء: المجاهرة بالظلم، وإعلان الفجور، وإباحة المحظور، وعصيان الأخيار، والانطياع للأشرار.

والذنوب التى تعجل الفناء: قطيعة الرحم، واليمين الفاجرة، والأقوال الكاذبة، والزنا، وسد طريق المسلمين، وادعاء الإمامة بغير حق.

والذنوب التى تقطع الرجاء: اليأس من روح الله، والقنوط من رحمة الله، والثقة بغير الله، والتكذيب بوعد الله عزوجل.

والذنوب التى تظلم الهواء: السحر، والكهانة، والإيمان بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وعقوق الوالدين.

والذنوب التى تكشف الغطاء: الاستدانة بغير نية الأداء، والإسراف فى النفقة على الباطل، والبخل على الأهل والولد وذوى الأرحام، وسوء الخلق، وقلة الصبر، واستعمال الضجر والكسل، والاستهانة بأهل الدين.

والذنوب التى ترد الدعاء: سوء النية، وخبث السريرة، والنفاق مع الإخوان، وترك التصديق بالإجابة، وتأخير الصلوات المفروضات حتى تذهب أوقاتها، وترك التقرب إلى الله عزوجل بالبر والصدقة، واستعمال البذاء والفحش فى القول.

والذنوب التى تحبس غيث السماء: جور الحكام فى القضاء، وشهادة الزور، وكتمان الشهادة، ومنع الزكاة والقرض والماعون، وقساوة القلب على أهل الفقر والفاقة، وظلم اليتيم والأرملة، وانتهار السائل ورده بالليل» ().

الفضائل ازدهار الحياة

فى المقابل عندما تكون هناك أمة صالحة يعيش أفرادها بوئام وسلام وتراحم، ستكون أعمالهم هذه أسباباً لازدهار الحياة وسعادتها؛ وهذا كله بحاجة إلى الإخلاص فى العمل، فإن هكذا الإخلاص يزيد فى العلم والحكمة، وفقاً لقول الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله: «من أخلص لله أربعين يوماً فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه» ().

وعن أبى جعفر عليه السلام قال: «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يوما، إلا زهده الله فى الدنيا، وبصره داءها ودواءها، وأثبت الحكمة فى قلبه، وأنطق بها لسانه، ثم تلا?: إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ() ?فلا ترى صاحب بدعة إلا ذليلاً، أو مفتريا على الله عزوجل وعلى رسوله وأهل بيته (صلى الله عليهم أجمعين) إلا ذليلا» ().

ومن المعلوم أنه بواسطة العلم والحكمة تزدهر الحياة العامة، وينتفع الناس بذلك، وكذلك تعدّ صلة الرحم من الصفات المحببة التى يحثنا عليها أئمتنا عليهم السلام وهى من أسباب الزيادة فى العمر؛ فعن الإمام الرضا عليه السلام قال: «يكون الرجل يصل رحمه فيكون قد بقى من عمره ثلاث سنين فيصيّرها الله ثلاثين سنة، ويفعل الله ما يشاء» ().

وكلما ازداد العمر أمكن للإنسان أن ينتفع من ذلك.

وهكذا بقية الأعمال الصالحة، فالصدقة تدفع البلاء، قال الإمام الباقر عليه السلام: «الصدقة تدفع البلاء المبرم فداووا مرضاكم بالصدقة» ().

وحسن الخلق يزيد فى الرزق، حيث ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله قوله: «حسن الخلق يزيد فى الرزق» ().

وغير ذلك كثير من الأسباب والفضائل التى إذا هيّأها أبناء المجتمع فإنهم يكونون قد هيّأوا لأنفسهم أسباب العيش الهنىء والحياة الآمنة، البعيدة عن الحوادث والكوارث وغضب الله. ومن خلال هؤلاء الناس أنفسهم يظهر من فيه كفاءة القيادة، فيسوسهم بالرحمة والعطف والعدل وهذا يسبب نجاة المسلمين من معاناتهم.

الرذائل وهلاك المجتمع

ومن أسباب معاناة المسلمين ما نراه اليوم من تفش المحرمات والرذائل فإنها توجب هلاك المجتمع.

عن أبى جعفر عليه السلام قال: «وجدنا فى كتاب رسول اللّه صلى الله عليه و اله إذا ظهر الزّنا من بعدى كثر موت الفجأة، وإذا طفّف المكيال والميزان أخذهم اللّه بالسّنين والنّقص، وإذا منعوا الزّكاة منعت الأرض بركتها من الزّرع والثّمار والمعادن كلّها، وإذا جاروا فى الأحكام تعاونوا على الظّلم و العدوان، وإذا نقضوا العهد سلّط اللّه عليهم عدوّهم، وإذا قطّعوا الأرحام جعلت الأموال فى أيدى الأشرار، وإذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتّبعوا الأخيار من أهل بيتى سلّط اللّه عليهم شرارهم فيدعوا خيارهم فلا يستجاب لهم» ().

نعم، إذا اتصف أبناء المجتمع بالرذائل والصفات غير الأخلاقية فإن هذه الصفات نفسها تكون كافية لإهلاكهم وتسليط الجبابرة عليهم، لأن طبيعة الإنسان العاصى أن يكون مستغرقاً فى الملذّات والهوى، ولا يعلم كيف تجرى الأمور السياسية والاقتصادية أو غيرها، فهو يجهل حتى هدفه فى الحياة، فمثلاً عندما تستشرى ظاهرة الزنا والعياذ بالله فى المجتمع فالزنا فعل لابدّ له من نتائج، ومن نتائجه المعنوية قصر العمر، ومن نتائجه الماديّة شيوع الأمراض الجنسية الزهرية الخطيرة وهكذا الإيدز وغيره، وتفشى الانحلال الأخلاقى.

ثم إن بعض هذه الذنوب تكون نتائجها السيئة سريعة، أى أن ما يتبعها من مساوى تظهر مباشرة فتنعكس سلبياتها فى المجتمع().

فمثلاً، الزنا ينشر الأمراض، وفساد السوق والميزان يوجب الجدب والقحط. وإذا منع الناس الزكاة أو الخمس منعت السماء ماءها.

وهكذا فى المقابل، فإن الله قد جعل لكل صفةٍ أخلاقية حسنة نتائج معنوية إيجابية، ونتائج مادية إيجابية ينتفع الناس منها.

كما جعل الله لكل صفة لا أخلاقية، ولكل ذنب أو معصية نتائج سلبية تنعكس على روح الإنسان، فتضعف إيمانه، ونتائج سلبية مادية تنعكس أضرارها فى المجتمع، قال رسول الله صلى الله عليه و اله: «خمس إن أدركتموهنَّ فتعوذوا بالله منهنَّ: لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوها إلاـ ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أُخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلاّـ مُنعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم وأخذوا بعض ما فى أيديهم، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله (عز وجل) إلاّ جعل الله عز وجل بأسهم بينهم» ().

وهذا الحديث الشريف يكشف لنا عن نظام العليّة وقانون الأسباب والمسببات وبعض أسرار تسلط الظلمة على الناس، لكنه يؤكد على أن ذلك التسليط ليس من قبل الله (والعياذ بالله)، بل هو من جزاء أيدى الناس وأعمالهم.

قال عزوجل?: ظَهَرَ الْفَسادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِما كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ().?

الخروج من المأزق

ثم إن اللازم للخروج من هذا المأزق والتخلص من هذه المعاناة ولكى نصل إلى الحياة الطيبة والقيادة العادلة لابد لنا من أن نأخذ بعين الاعتبار قانون الأسباب والمسببات والسنن الكونية، ونعمل كل ما بوسعنا لكى تكون أعمالنا صالحة، حتى تأتى النتائج صالحة فتنعكس إيجابياتها على مختلف الناس، كما إن من الضرورى إيجاد التعددية السياسية لكى لا يكون مجال لتسلُّط الطغاة والجبابرة. فإذا استطعنا أن نبنى ونُربّى أولادنا على الفضيلة والأدب الإسلامى وسلوك أهل البيت عليهم السلام، نكون قد ضمنّا قيادة عادلة حكيمة فى المستقبل؛ إذ عندما نجهل هذا الكون وما أودع الله فيه من السنن، ونهجر القرآن الذى فيه علم كل شىء، ولم نتبع سيرة رسول الله صلى الله عليه و اله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام نكون قد تخلّينا عن حياتنا السعيدة وعن مصيرنا الموعود، فنذوب فى العمل اليومى والقضايا الجانبية والثانوية، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «الله الله فى القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيركم» ().

وكلما ازداد ابتعادنا عن القرآن وعن منهج أهل البيت عليهم السلام ازداد استغراقنا فى المتاهات، لنفاجأ مَدهوشين بالطغاة واحداً تلو الآخر كدهشتنا بحاكم كالحجاج أو صدام وقد تسلط علينا.

وعنـدها نقول: لماذا سلّطه الله علينا؟ ونبتهل إلى الله بالـدعاء والفرج، ولكن دون جـدوى فعملنا هو فى الواقع الـذى فسـح المجال لأن يأتى أمثال هؤلاء الطغاة، وبالعمل والسلوك أيضاً نستطيع أن نبدّل الواقع السيئ إلى واقع حسنٍ ومُرْضٍ، حيث قال تعالى?: إن تنصروا الله ينصـركم ويثبّت أقـدامكم(). ?فإذا كان الإنسان دائماً فى طاعـة الله، مقيماً لشـعائره ومجداً فى سبيله، ومدافعاً عن الدين والمؤمنين، وباذلاً ـ روحه وأمواله فى سبيل شـريعة الله عز وجل، فإن هـذا بحدّ ذاته نصـر لـدين الله، وسيكون سـبباً لغلق الأبواب التى منها يتسلّل الانتهازيون وأشباههم ممّن يريدون الكيد بالإسلام العظيم، وكلما ازداد الدفاع عن الإسلام قويت قاعدة المسلمين التى تنتهى برسوخ وثبات الحكم الإسلامى.

حكومة أمير المؤمنين عليه السلام

إن لنا تجربـة رائعـة فى الحكم وقـدوة عظيمـة نتأسـى بهـا دوماً وهى دولـة أمير المؤمنين عليه السـلام، حيث جسَّد أروع صور العـدل الإنسانى فيقول عليه السلام: «إن هذا المال ليس لى ولك، وإنما هو فىء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا يكون لغير أفواههم» ().

ويقول عليه السلام: «إن السلطان لأمين الله فى الأرض، ومقيم العدل فى البلاد والعباد ووزعته فى الأرض» ().

وكتب عليه السلام للأشتر النخعى لما ولاه على مصر وأعمالها وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هـذا مـا أمر به عبـد الله على أمير المؤمنين مالـك بن الحـارث الأـشتر فى عهـده إليه حين ولاه مصـر، جباية خراجها وجهاد عدوها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها:

أمره بتقوى الله وإيثـار طـاعته واتبـاع مـا أمر به فى كتـابه من فرائضه وسـننه التى لا يسـعد أحـد إلا باتباعها ولا يشـقى إلا مع جحودها وإضاعتها، وأن ينصر الله سبحانه بقلبه ويده ولسانه؛ فإنه جل اسمه قد تكفل بنصر من نصره وإعزاز من أعزه، وأمره أن يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات؛ فإن النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله.

ثم اعلم يـا مالـك، أنى قـد وجهتك إلى بلاد قـد جرت عليها دول قبلك من عـدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاـة قبلـك، ويقولون فيـك ما كنت تقول فيهم، وإنما يسـتدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسـن عباده، فليكن أحب الـذخائر إليك ذخيرة العمل الصالـح، فاملك هواك وشـح بنفسك عما لا يحل لك؛ فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أو كرهت، وأشـعر قلبك الرحمـة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سـبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: إما أخ لك فى الـدين، وإما نظير لك فى الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيـديهم فى العمـد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصـفحك مثل الـذى تحب وترضـى أن يعطيك الله من عفوه وصـفحه؛ فإنك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم. ولا تنصبن نفسك لحرب الله؛ فإنه لا يد لك بنقمته ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولاـ تنـدمن على عفو ولاـ تبجحن بعقوبـة، ولا تسـرعن إلى بادرة وجـدت منها مندوحـةً ولا تقولن إنى مؤمر آمر فأطاع؛ فإن ذلك إدغال فى القلب ومنهكة للدين وتقرب من الغير. وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهةً أو مخيلةً فانظر إلى عظم ملك الله فوقـك وقـدرته منـك على مـا لاـ تقـدر عليه من نفسـك، فإن ذلك يطامن إليك من طماحك، ويكف عنك من غربك ويفىء إليك بما عزب عنك من عقلك.

إيـاك ومساماة الله فى عظمته والتشـبه به فى جبروته؛ فإن الله يـذل كل جبار ويهين كل مختال، أنصف الله وأنصف الناس من نفسـك ومن خاصـة أهلـك ومن لك فيه هوًى من رعيتك؛ فإنك إلا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصـمه دون عباده ومن خاصـمه الله أدحض حجته، وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب، وليس شـىء أدعى إلى تغيير نعمـة الله وتعجيل نقمته من إقامة على ظلم، فإن الله سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد. وليكن أحب الأـمور إليك أوسطها فى الحق وأعمها فى العـدل وأجمعها لرضـى

الرعيـة؛ فإن سـخط العامة يجحف برضـی الخاصة، وإن سـخط الخاصة يغتفر مع رضـی العامة، وليس أحد من الرعية أثقل علی الوالی مئونـةً فی الرخاء وأقل معونـةً له فی البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقل شـكراً عنـد الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضـعف صبراً عنـد ملمات الـدهر من أهل الخاصـة، وإنما عماد الـدين وجماع المسـلمين والعـدة للأعداء العامة من الأمة، فليكن صـغوک لهم وميلک معهم، وليكن أبعـد رعيتـک منـک وأشـنأهم عنـدک أطلبهم لمعـايب الناس؛ فإن فی الناس عيوباً الوالی أحق من سترها، فلا تكشـفن عما غاب عنک منها، فإنما عليک تطهير ما ظهر لک والله يحكم علی ما غاب عنک، فاستر العورة ما اسـتطعت يستر الله منک ما تحب ستره من رعيتک. أطلق عن الناس عقدة كل حقد واقطع عنک سـبب كل وتر وتغاب عن كل ما لايضح لک، ولا تعجلن إلی تصديق ساع؛ فإن الساعی غاش وإن تشبـه بالناصحين، ولا تدخلن فی مشورتک بخيلا يعدل بک عن الفضل ويعدک الفقر، ولا جباناً يضعفک عن الأمور، ولا حريصاً يزين لک الشره بالجور، فإن البخل و الجبن والحرص غرائز شتی يجمعها سوء الظن بالله.

إن شـر وزرائـک من كان للأشـرار قبلک وزيراً، ومن شـركهم فی الآثام، فلا يكونن لک بطانـةً؛ فإنهم أعوان الأثمـة وإخوان الظلمـة، وأنت واجـد منهم خير الخلف ممن له مثـل آرائهم ونفـاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممن لم يعاون ظالماً علی ظلمه ولا آثماً علی إثمه، أولئک أخف عليک مئونـةً وأحسن لک معونةً وأحنی عليک عطفاً وأقل لغيرک إلفاً، فاتخذ أولئک خاصـةً لخلواتـک وحفلاتـک، ثم ليكن آثرهم عنـدک أقولهم بمر الحق لـک وأقلهم مساعـدةً فيمـا يكون منـک، مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلک من هواک حيث وقع. والصق بأهل الورع والصـدق ثم رضـهم علی ألا يطروک ولا يبجحوک بباطل لم تفعله؛ فإن كثرة الإطراء تحـدث الزهو وتـدنی من العزة. ولا يكونن المحسن والمسیء عندک بمنزلة سواء؛ فإن فی ذلک تزهيداً لأهل الإحسان فی الإحسان، وتدريباً لأهل الإساءة علی الإساءة، وألزم كلا منهم ما ألزم نفسه.

واعلم أنه ليس شـیء بـأدعی إلی حسن ظن راع برعيته من إحسـانه إليهم، وتخفيفه المئونـات عليهم، وترک اسـتكراهه إيـاهم علی ما ليس له قبلهم، فليكن منـک فی ذلک أمر يجتمع لک به حسن الظن برعيتک؛ فإن حسن الظن يقطع عنک نصـباً طويلًا، وإن أحق من حسن ظنک به لمن حسن بلاؤک عنـده، وإن أحق من ساء ظنک به لمن ساء بلاؤک عنـده. ولا تنقض سـنةً صالحـةً عمل بها صدور هذه الأمة، واجتمعت بها الألفة وصـلحت عليها الرعية، ولا تحدثن سـنةً تضـر بشـیء من ماضـی تلک السـنن؛ فيكون الأجر لمن سنها، والوزر عليک بما نقضت منها. وأكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء فی تثبيت ما صـلح عليه أمر بلادک، وإقامة ما اسـتقام به الناس قبلک.

واعلم أن الرعيـة طبقـات لا يصـلح بعضـها إلا ببعض، ولا غنی ببعضـها عن بعض، فمنها جنود الله ومنها كتاب العامـة والخاصـة، ومنها قضاة العـدل، ومنها عمال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزيـة والخراج من أهل الذمـة ومسـلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصـناعات، ومنها الطبقة السـفلی من ذوی الحاجة والمسـكنة، وكل قد سـمی الله له سـهمه، ووضع علی حده فريضةً فی كتابه أو سنة نبيه صلی الله عليه و اله عهـداً منه عنـدنا محفوظاً، فالجنود بإذن الله حصون الرعيـة، وزين الولاة وعز الدين وسـبل الأمن، وليس تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا ـ قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج؛ الـذی يقوون به علی جهاد عـدوهم، ويعتمـدون عليه فيما يصـلحهم، و يكون من وراء حـاجتهم، ثم لا ـ قوام لهـذين الصـنفين إلا بالصـنف الثالث من القضاة والعمال والكتّاب؛ لما يحكمون من المعاقـد ويجمعون من المنـافع ويؤتمنون عليه من خواص الأـمور وعوامها، ولا قوام لهم جميعاً إلا بالتجار وذوی الصـناعات، فيما يجتمعون عليه من مرافقهم، ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق بأيـديهم ما لا يبلغه رفق غيرهم، ثم الطبقة السـفلی من أهل الحاجة والمسـكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم، وفی الله لكل سعة، ولكل علی الوالی حق بقدر ما يصلحه، وليس يخرج الوالی من حقيقة ما ألزمه الله من ذلک إلا بالاهتمام والاسـتعانة بالله، وتوطين نفسه علی لزوم الحق والصبر عليه، فيما خفّ عليه أو ثقل، فول من جنودک أنصحهم فی نفسک لله ولرسوله ولإمامک، وأنقاهم جيباً وأفضـلهم حلماً، ممن يبطئ عن الغضب، ويستريـح إلی العذر ويرأف بالضـعفاء، وينبو علی الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعـد به الضـعف، ثم الصق بـذوی المروءات والأحساب وأهل البيوتات الصالحـة والسوابق الحسـنة، ثم أهل

النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة؛ فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف، ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولايتفاقمن فی نفسک شیء قویتهم به، ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل؛ فإنه داعیة لهم إلی بذل النصیحة لک وحسن الظن بک، ولا تدع تفقد لطیف أمورهم اتکالاً علی جسیمها؛ فإن للیسیر من لطفک موضعاً ینتفعون به، وللجسیم موقعاً لا یستغنون عنه، ولیکن آثر رءوس جندک عندک من واساهم فی معونته، وأفضل علیهم من جدته بما یسعهم ویسع من وراءهم، من خلوف أهلیهم؛ حتی یکون همهم هماً واحداً فی جهاد العدو، فإن عطفک علیهم یعطف قلوبهم علیک. وإن أفضل قرة عین الولاة استقامة العدل فی البلاد وظهور مودة الرعیة، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصیحتهم إلا بحیطتهم علی ولاة الأمور، وقلة استثقال دولهم وترک استبطاء انقطاع مدتهم، فافسح فی آمالهم وواصل فی حسن الثناء علیهم، وتعدید ما أبلی ذوو البلاء منهم؛ فإن کثرة الذکر لحسن أفعالهم تهز الشجاع و تحرض الناکل إن شاء الله.

ثم اعرف لکل امرئ منهم ما أبلی، ولا تضمن بلاء امرئ إلی غیره، ولا تقصرن به دون غایة بلائه، ولا یدعونک شرف امرئ إلی أن تعظم من بلائه ما کان صغیراً، ولا ضعة امرئ إلی أن تستصغر من بلائه ما کان عظیماً، واردد إلی الله ورسوله ما یضلعک من الخطوب ویشتبه علیک من الأمور؛ فقد قال الله تعالی لقوم أحب إرشادهم?: یَا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللهَ وَأَطِیعُوا الرَّسُولَ وَأُولِی الأمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِی شَیْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللهِ وَالرَّسُولِ ?فالرد إلی الله الأخذ بمحکم کتابه، والرد إلی الرسول الأخذ بسنته الجامعة غیر المفرقة. ثم اختر للحکم بین الناس أفضل رعیتک فی نفسک ممن لا تضیق به الأمور ولا تمحکه الخصوم، ولایتمادی فی الزلة، ولا یحصر من الفیء إلی الحق إذا عرفه، ولاتشرف نفسه علی طمع ولاـ یکتفی بأدنی فهم دون أقصاه، وأوقفهم فی الشبهات، وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم وأصبرهم علی تکشف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحکم، ممن لا یزدهیه إطراء ولا یستمیله إغراء، وأولئک قلیل. ثم أکثر تعاهد قضائه وافسح له فی البذل ما یزیل علته، وتقل معه حاجته إلی الناس، وأعطه من المنزلة لدیک ما لا یطمع فیه غیره من خاصتک؛ لیأمن بذلک اغتیال الرجال له عندک، فانظر فی ذلک نظراً بلیغاً؛ فإن هذا الدین قد کان أسیراً فی أیدی الأشرار، یعمل فیه بالهوی وتطلب به الدنیا.

ثم انظر فی أمور عمالک فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباةً وأثرةً؛ فإنهما جماع من شعب الجور والخیانة، وتوخ منهم أهل التجربة والحیاء من أهل البیوتات الصالحة والقدم فی الإسلام المتقدمة؛ فإنهم أکرم أخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل فی المطامع إشراقاً وأبلغ فی عواقب الأمور نظراً، ثم أسبغ علیهم الأرزاق؛ فإن ذلک قوة لهم علی استصلاح أنفسهم وغنی لهم عن تناول ما تحت أیدیهم وحجة علیهم إن خالفوا أمرک أو ثلموا أمانتک، ثم تفقد أعمالهم وابعث العیون من أهل الصدق والوفاء علیهم؛ فإن تعاهدک فی السر لأمورهم حدوة لهم علی استعمال الأمانة والرفق بالرعیة وتحفظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط یده إلی خیانة اجتمعت بها علیه عندک أخبار عیونک اکتفیت بذلک شاهداً، فبسطت علیه العقوبة فی بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخیانة وقلدته عار التهمة. وتفقد أمر الخراج بما یصلح أهله؛ فإن فی صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم، ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس کلهم عیال علی الخراج وأهله، ولیکن نظرک فی عمارة الأرض أبلغ من نظرک فی استجلاب الخراج؛ لأن ذلک لاـ یدرک إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغیر عمارة أخرب البلاد وأهلک العباد ولم یستقم أمره إلا قلیلاً، فإن شکوا ثقلاً أو علةً أو انقطاع شرب أو بالة أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش، خففت عنهم بما ترجو أن یصلح به أمرهم، ولا یثقلن علیک شیء خففت به المئونة عنهم؛ فإنه ذخر یعودون به علیک فی عمارة بلادک وتزیین ولایتک، مع استجلابک حسن ثنائهم وتبجحک باستفاضة العدل فیهم، معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامک لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلک علیهم ورفقک بهم؛ فربما حدث من الأمور ما إذا عولت فیه علیهم من بعد احتملوه طیبةً أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته، وإنما یؤتی خراب الأرض من إعواز أهلها، وإنما یعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة علی الجمع، وسوء ظنهم بالبقاء، وقلة انتفاعهم بالعبر، ثم انظر فی حال کتّابک، فول علی أمورک خیرهم، واخصص رسائلک التی تدخل فیها مکایدک وأسرارک بأجمعهم لوجوه صالح

الأخلاق، ممن لاتبطره الكرامة فيجترئ بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملأ، ولاتقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطى منك، ولايضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الأمور؛ فإن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل، ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك؛ فإن الرجال يتعرضون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن خدمتهم، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك، فاعمد لأحسنهم كان فى العامة أثراً، وأعرفهم بالأمانة وجهاً؛ فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره، واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم، لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان فى كتّابك من عيب فتغابيت عنه ألزمته. ثم استوص بالتجار وذوى الصناعات، وأوص بهم خيراً المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه؛ فإنهم مواد المنافع وأسباب المرافق، وجلابها من المباعد والمطارح فى برك وبحرك وسهلك وجبلك، وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها، ولا يجترءون عليها، فإنهم سلم لا تخاف بائقته، وصلح لا تخشى غائلته. وتفقد أمورهم بحضرتك وفى حواشى بلادك. واعلم مع ذلك أن فى كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً فى البياعات، وذلك باب مضرة للعامة، وعيب على الولاة، فامنع من الاحتكار؛ فإن رسول الله صلى الله عليه و اله منع منه، وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع؛ فمن قارف حكرةً بعد نهيك إياه فنكل به وعاقبه فى غير إسراف.

ثم الله الله فى الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين، وأهل البؤسى والزمنى؛ فإن فى هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ لله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافى الإسلام فى كل بلد؛ فإن للأقصى منهم مثل الذى للأدنى، وكل قد استرعيت حقه. ولا يشغلنك عنهم بطر؛ فإنك لا تعذر بتضييعك التافه لإحكامك الكثير المهم، فلا تشخص همك عنهم، ولا تصعر خدك لهم. وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون وتحقره الرجال، ففرّغ لأولئك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم، ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه؛ فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فأعذر إلى الله فى تأدية حقه إليه. وتعهد أهل اليتم وذوى الرقة فى السن، ممن لا حيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم. واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً، فتتواضع فيه لله الذى خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك؛ حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع، فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و اله يقول فى غير موطن: لن تقدس أمة لايؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متتعتع، ثم احتمل الخرق منهم والعى، ونح عنهم الضيق والأنف، يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً وامنع فى إجمال وإعذار.

ثم أمور من أمورك لا بد لك من مباشرتها، منها إجابة عمالك بما يعيا عنه كتّابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك، وأمض لكل يوم عمله؛ فإن لكل يوم ما فيه، واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل تلك الأقسام وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية وسلمت منها الرعية، وليكن فى خاصة ما تخلص به لله دينك إقامة فرائضه، التى هى له خاصةً، فأعط الله من بدنك فى ليلك ونهارك، ووفِّ ما تقربت به إلى الله من ذلك، كاملاً غير مثلوم ولامنقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ. وإذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً؛ فإن فى الناس من به العلة وله الحاجة، وقد سألت رسول الله صلى الله عليه و اله حين وجهنى إلى اليمن: كيف أصلى بهم؟ فقال: صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً.

وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك؛ فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب الحق بالباطل، وإنما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب؛ وإنما أنت أحد رجلين:

إما امرؤ سخت نفسک بالبذل فی الحق ففیم احتجابک من واجب حق تعطیه؟ أو فعل کریم تسدیه، أو مبتلًی بالمنع، فما أسرع کف الناس عن مسألتک إذا أیسوا من بذلک، مع أن أکثر حاجات الناس إلیک مما لامئونة فیه علیک، من شکاة مظلمة، أو طلب إنصاف فی معاملة. ثم إن للوالی خاصةً وبطانةً، فیهم استئثار وتطاول وقلة إنصاف فی معاملة، فاحسم مادة أولئک بقطع أسباب تلک الأحوال، ولاـتقطعن لأحد من حاشیتک وحامتک قطیعةً، ولاـ یطمعن منک فی اعتقاد عقدة تضر بمن یلیها من الناس، فی شرب أو عمل مشترک، یحملون مئونته علی غیرهم، فیکون مهنأ ذلک لهم دونک، وعیبه علیک فی الدنیا والآخرة.

وألزم الحق من لزمه من القریب والبعید، وکن فی ذلک صابراً محتسباً، واقعاً ذلک من قرابتک وخاصتک حیث وقع، وابتغ عاقبته بما یثقل علیک منه، فإن مغبة ذلک محمودة. وإن ظنت الرعیة بک حیفاً فأصحر لهم بعذرک، واعدل عنک ظنونهم بإصحارک؛ فإن فی ذلک ریاضةً منک لنفسک ورفقاً برعیتک وإعذاراً، تبلغ به حاجتک من تقویمهم علی الحق. ولا تدفعن صلحاً دعاک إلیه عدوک ولله فیه رضًا؛ فإن فی الصلح دعةً لجنودک، وراحةً من همومک، وأمناً لبلادک، ولکن الحذر کل الحذر من عدوک بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب لیتغفّل، فخذ بالحزم واتهم فی ذلک حسن الظن. وإن عقدت بینک وبین عدوک عقدةً أو ألبسته منک ذمةً، فحط عهدک بالوفاء، وارع ذمتک بالأمانة، واجعل نفسک جنةً دون ما أعطیت؛ فإنه لیس من فرائض الله شیء الناس أشد علیه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم من تعظیم الوفاء بالعهود، وقد لزم ذلک المشرکون فیما بینهم دون المسلمین؛ لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرن بذمتک ولاتخیسن بعهدک ولا تختلن عدوک؛ فإنه لا یجترئ علی الله إلا جاهل شقی، وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه بین العباد برحمته، وحریماً یسکنون إلی منعته ویستفیضون إلی جواره، فلا إدغال ولا مدالسة ولا خداع فیه، ولا تعقد عقداً تجوز فیه العلل، ولا تعولن علی لحن قول بعد التأکید والتوثقة، ولا یدعونک ضیق أمر لزمک فیه عهد الله إلی طلب انفساخه بغیر الحق؛ فإن صبرک علی ضیق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خیر من غدر تخاف تبعته، وأن تحیط بک من الله فیه طلبة لا تستقبل فیها دنیاک ولا آخرتک.

إیاک والدماء وسفکها بغیر حلها؛ فإنه لیس شیء أدعی لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحری بزوال نعمة وانقطاع مدة من سفک الدماء بغیر حقها، والله سبحانه مبتدئ بالحکم بین العباد فیما تسافکوا من الدماء یوم القیامة، فلا تقوین سلطانک بسفک دم حرام؛ فإن ذلک مما یضعفه ویوهنه، بل یزیله وینقله، ولاـ عذر لک عند الله، ولا عندی فی قتل العمد لأن فیه قود البدن، وإن ابتلیت بخطأ، وأفرط علیک سوطک أو سیفک أو یدک بالعقوبة، فإن فی الوکزة فما فوقها مقتلةً، فلا تطمحن بک نخوة سلطانک عن أن تؤدی إلی أولیاء المقتول حقهم. وإیاک والإعجاب بنفسک والثقة بما یعجبک منها، وحب الإطراء؛ فإن ذلک من أوثق فرص الشیطان فی نفسه، لیمحق ما یکون من إحسان المحسنین. وإیاک والمن علی رعیتک بإحسانک، أو التزید فیما کان من فعلک، أو أن تعدهم فتتبع موعدک بخلفک؛ فإن المن یبطل الإحسان، والتزید یذهب بنور الحق، والخلف یوجب المقت عند الله والناس، قال الله تعالی?: کَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ.?

وإیاک والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التسقط فیها عند إمکانها، أو اللجاجة فیها إذا تنکرت، أو الوهن عنها إذا استوضحت، فضع کل أمر موضعه، وأوقع کل أمر موقعه. وإیاک والاستئثار بما الناس فیه أسوة، والتغابی عما تعنی به، مما قد وضح للعیون، فإنه مأخوذ منک لغیرک، وعما قلیل تنکشف عنک أغطیة الأمور، وینتصف منک للمظلوم، املک حمیة أنفک وسورة حدک وسطوة یدک وغرب لسانک، واحترس من کل ذلک بکف البادرة وتأخیر السطوة حتی یسکن غضبک، فتملک الاختیار، ولن تحکم ذلک من نفسک حتی تکثر همومک بذکر المعاد إلی ربک، والواجب علیک أن تتذکر ما مضی لمن تقدمک من حکومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبینا صلی الله علیه و اله أو فریضة فی کتاب الله، فتقتدی بما شاهدت مما عملنا به فیها، وتجتهد لنفسک فی اتباع ما عهدت إلیک فی عهدی هذا، واستوثقت به من الحجة لنفسی علیک؛ لکیلا تکون لک علة عند تسرع نفسک إلی هواها، وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظیم قدرته علی إعطاء کل رغبة، أن یوفقنی وإیاک لما فیه رضاه، من الإقامة علی العذر الواضح إلیه وإلی خلقه، مع حسن

الثناء فى العباد، وجميل الأثر فى البلاد، وتمام النعمة وتضعيف الكرامة، وأن يختم لى ولك بالسعادة والشهادة، إنا إليه راجعون والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الطيبين الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً والسلام» ().

والآن وقد فقد العدل فى أغلب صوره فى الدول التى أعقبت حكم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ ولذا عاد الإسلام غريباً كما بدأ، وأصبحت مبادئه غريبة فى أغلب بلاد الإسلام، من جرّاء اللهاث وراء القوانين الوضعية الجائرة وقد استولى الطغاة على البلاد وهذا من أكبر معاناة الإسلام والمسلمين.

اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد «ولا تبتلنى بالكسل عن عبادتك، ولا العمى عن سبيلك، ولا بالتعرض لخلاف محبتك، ولا مجامعة من تفرّق عنك، ولا مفارقة من اجتمع إليك. اللهم اجعلنى أصول بك عند الضرورة، وأسألك عند الحاجة، وأتضرع إليك عند المسكنة، ولا تفتنّى بالإستعانة بغيرك إذا اضطررت. ولابالخضوع لسؤال غيرك إذا افتقرت» () بحق محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

من هدى القرآن الحكيم

من صفات الحاكم الإسلامى:

قال تعالى?: فَإِنْ جاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ().?

وقال عزوجل?: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَإِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كانَ سَمِيعاً بَصِيراً(). ?وقال سبحانه?: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِى الْقُرْبى وَيَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ().?

وقال جل وعلا?: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ().?

الثبات على المبدأ:

قال تبارك وتعالى?: وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَنْ قالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَإِسْرافَنا فِى أَمْرِنا وَثَبِّتْ أَقْدامَنا وَانْصُرْنا عَلَى الْقَوْمِ الْكافِرِينَ().?

وقال سبحانه?: يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَياةِ الدُّنْيا وَفِى الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ ما يَشاءُ().?

وقال عزوجل?: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدىً وَبُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ().?

وقال جل وعلا?: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ().?

لا للخوف.. فإنه أحد أسباب تسلط الطغاة:

قال تعالى?: إِنَّما ذلِكُمُ الشَّيْطانُ يُخَوِّفُ أَوْلِياءهُ فَلا تَخافُوهُمْ وَخافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ().?

وقال سبحانه ... ?: فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِى ثَمَناً قَلِيلاً وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْكافِرُونَ().?

وقال عزوجل?: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكافِرِينَ يُجاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَلا يَخافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَلِيمٌ().?

وقال سبحانه?: قالَ لا تَخافا إِنَّنِى مَعَكُما أَسْمَعُ وَأَرى().?

الإخلاص فى العمل:

قال عزوجل?: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكافِرِينَ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَ تُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلهِ عَلَيْكُمْ سُلْطاناً مُبِيناً ? إِنَّ الْمُنافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً ? إِلاَّ الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلهِ فَأُولئِكَ مَعَ

الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً().?

وقال عز من قائل?: قُلْ أَمَرَ رَبِّی بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَما بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ().?

وقال تبارك وتعالی?: أَلا لِلهِ الدِّينُ الْخالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِياءَ ما نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفى إِنَّ اللهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِی ما هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِی مَنْ هُوَ كاذِبٌ كَفَّارٌ().?

وقال سبحانه?: قُلِ اللهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِی ? فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا ذلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ().?

من هدی السنة المطهرة

من صفات الحاكم الإسلامی:

قال رسول الله صلی الله عليه و اله: «من ولی عشرة فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامة ويداه ورجلاه ورأسه فی ثقب فاس» ().

وقال صلی الله عليه و اله: «أول من يدخل النار أمير متسلط لم يعدل » ()....

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من تولی أمراً من أُمور الناس فعدل وفتح بابه ورفع ستره ونظر فی أمور الناس كان حقاً علی الله عزوجل يؤمن روعته يوم القيامة ويدخله الجنة» ().

الثبات والاستمرارية فی العمل:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «قال أبونا رسول الله صلی الله عليه و اله: المداومة علی العمل فی اتباع الآثار والسنن وإن قلَّ أرضی لله وأنفع عنده فی العاقبة من الاجتهاد فی البدع واتباع الأهواء» ().

وقال أمير المؤمنين عليه السلام فی وصيته للإمام الحسين عليه السلام: «يا بنی، أوصيك بتقوی الله فی الغنی والفقر، وكلمة الحق فی الرضا والغضب، والقصد فی الغنی والفقر، وبالعدل علی الصديق والعدو، وبالعمل فی النشاط والكسل، والرضا عن الله فی الشدة والرخاء» ().

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أحب الأعمال إلی الله عز وجل ما داوم عليه العبد وإن قل» ().

التحذير من مؤازرة الحكّام الظالمين:

قال الإمام الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلی الله عليه و اله فی حديث المناهی : «أنه نهی عن المدح وقال: احثوا فی وجوه المداحين التراب» قال: وقال صلی الله عليه و اله: «من تولی خصومة ظالم أو أعان عليها، ثم نزل به ملك الموت قال له: أبشر بلعنة الله ونار جهنم وبئس المصير»، قال: وقال صلی الله عليه و اله: «من مدح سلطاناً جائراً وتحفف وتضعضع له طمعاً فيه كان قرينه فی النار».

قال: «وقال صلی الله عليه و اله: قال الله عزوجل?: وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ?وقال عليه السلام: من ولی جائراً علی جور كان قرين هامان فی جهنم» ().

وقال عليه السلام: «العامل بالظلم والمعين له والراضی به شركاء ثلاثتهم» ().

وقال رسول الله صلی الله عليه و اله: «إذا كان يوم القيامة نادی مناد: أين الظلمة وأعوانهم، من لاط لهم دواة، أو ربط لهم كيساً، أو مد لهم مرة قلم فاحشروهم معهم» ().

وقال الإمام الرضا عليه السلام: «من أحب عاصيا فهو عاص، ومن أحب مطيعا فهو مطيع، ومن أعان ظالما فهو ظالم، ومن خذل عادلا فهو ظالم» ().

الإخلاص فی العمل:

قال رسول الله صلى الله عليه و اله: «أخلص قلبك يكفك القليل من العمل» ().

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «يستدل على اليقين بقصر الأمل وإخلاص العمل والزهد فى الدنيا» ().

وقال عليه السلام: «فضيلة العمل الإخلاص فيه» ().

وقال عليه السلام: «للمتقى ثلاث علامات: إخلاص العمل، وقصر الأمل، واغتنام المهل» ()

وقال أبو عبد الله عليه السلام فى قول الله عزوجل ?: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا()؟ ?قال: «ليس يعنى أكثر عملًا، ولكن أصوبكم عملاً، وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة» ثم قال: «الإبقاء على العمل حتى يخلص أشد من العمل والعمل الخالص الذى لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلا ـ الله عزوجل والنية أفضل من العمل ألا ـ وإن النية هى العمل ثم تلا ـ قوله عزوجل ? قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شاكِلَتِهِ() ?يعنى على نيته» ().

وقال رسول الله صلى الله عليه و اله: «ما أخلص عبد لله عزوجل أربعين صباحاً إلا جرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه» ().

رجوع إلى القائمة

پى نوشتها

() سورة الروم: ۳۰.

() عدة الداعى: ص۳۳۲ خاتمة الكتاب.

() سورة العنكبوت: ۲۳.

() بحار الأنوار: ج۵۲ ص ۱۹۱ ب۲۵ ح۲۳.

() أمالى الطوسى: ص۲۵۹ المجلس ۱۰ ح۵.

() بحار الأنوار: ج۱۸ ص۱۷۶ ب۱ ح۲.

() بحار الأنوار: ج۱۸ ص۱۷۷ ب۱ ح۴.

() سورة التوبة: ۴۰.

() بحار الأنوار: ج ۳۹ ص ۴۴ ب۷۳ ح۱۵.

() كما هو الحاصل فى بعض البلاد الإسلامية التى تدّعى الولاية على المسلمين ووجوب طاعة كل المسلمين لهم وتسن القوانين وتشرع التشريعات التى ما أنزل الله بها من سلطان وتنسبها إلى الإسلام.

() معانى الأخبار: ص ۹۰ باب معنى الثقلين ح۲.

() سورة الإسراء: ۷۱.

() الكافى: ج۱ ص۲۱۶ باب أن الأئمة فى كتاب الله إمامان إمام يدعو إلى الله وإمام يدعو إلى النار ح۱.

() كل واحد من هؤلاء هو علم من أعلام الطغاة الذين ابتلت بهم الأمة الإسلامية، ولهم تاريخ أسود فى الظلم والاضطهاد والانحراف عن الشريعة المقدسة التى كانوا يدعون الحكم بها، والحال هم أبعد الناس عن تطبيقها، ولكل منهم علامة فارقة فى الإجرام من خلال أعظم جرم ارتكبوه خلال تسلطهم على رقاب المسلمين.

فهذا يزيد بن معاوية بن أبى سفيان، صاحب التاريخ الأسود والسيرة البشعة، المليئة بالفسق والفجور، بشهادة أرباب السير والتاريخ، لم يكفه كل ذلك حتى ارتكب أبشع جريمة فى تاريخ الإنسانية على الإطلاق، حينما قتل سيد شباب أهل الجنة وسبط الرسول الأعظم صلى الله عليه و اله الإمام الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام وسبى ذرارى رسول الله صلى الله عليه و اله وأهل بيته. وهذا الوليد بن عبد الملك بن مروان فهو الذى قتل سيد الساجدين وزين العابدين الإمام على بن الحسين ? هذا غير ما ارتكب من ظلم

وانتهاك للشريعة المقدسة. أما هارون العباسى صاحب الليالى الحمراء وقد ازدهر فى عصره الغناء والطرب والتجاهر بهما حتى عد من العلامات الفارقة لعاصمة ملكه، وأضاف إلى ذلك جريمة قتل الإمام الكاظم عليه السلام بعدما أذاقه عذاب السجن سنين عديدة، والانتقال به من سجن إلى سجن، حتى قتله على يد جلاده السندى بن شاهك (عليه اللعنة)، أما ابنه المدعو بالمأمون فهو لم يكن بأقل خبثا ودهاءً ومكراً من أسلافه، حيث كان بطل مسرحية إجبار الإمام الرضا عليه السلام فى قضية ولاية العهد التى لم تنطلِ على المطلعين، حتى أنه ما تورع عن سم الإمام الذى كان على بصيرة تامة من كل دسائسه ومخططاته. نعم، بأمثال هؤلاء ابتلت أمة محمد صلى الله عليه و اله وكل منهم يسمى نفسه أمير المؤمنين، وكان الأليق بهم لقب أمراء الظالمين والفاسقين والمحرفين لشريعة سيد المرسلين، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

() سورة المائدة: ۴۴.

() تهذيب الأحكام: ج۶ ص ۲۲۲ ب۸۷ ح۱۶.

() تهذيب الأحكام: ج۶ ص ۲۲۱ ب۸۷ ح۱۳.

() التجسيم أو المجسمة: لفظ أطلق على من يأخذ بظاهر ساذج للآيات القرآنية الشريفة، من دون تعمق وفهم؛ فقالوا أن له تبارك وتعالى يداً ورجلاً وعيناً، فجعلوا لله جسماً، فتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد قامت الأدلة العقلية والنقلية على بطلان هذا الرأى، ونفى التجسيم عنه تبارك وتعالى.

() هو المحقق المتكلم الحكيم المتبحر الجليل، محمد بن محمد بن الحسن الطوسى ? صاحب كتاب تجريد العقائد، وكتاب التذكرة النصيرية، وكتاب تحرير أقليدس وتحرير المجسطى وشرح الإشارات والفصول النصيرية والفرائض النصيرية والأخلاق الناصرية وكثير غيرها، ولد ? بمشهد طوس فى سنة (۵۹۷ه)، وتوفى فى سنة (۶۷۲ه) ودفن فى مقابر قريش فى الكاظمية. انظر روضات الجنات: ج۶ ص ۳۰۰ باب ما أوله الميم.

() هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن على الطوسى، شيخ الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة عين صدوق، عارف بالأخبار والرجال، والفقه والأصول، والكلام والأدب، وجميع الفضائل تنسب إليه. ولد فى شهر رمضان سنة (۳۸۵ه) وتوفى ? فى شهر محرم سنة (۴۶۰ه) ودفن بالمشهد الغروى المقدس، له ? مؤلفات كثيرة منها: المجالس المشتهر بالأمالى، الغيبة، المصباح الكبير، المصباح الصغير، الخلاف، المبسوط، الفهرست، الرجال، وغيرها. انظر روضات الجنات: ج۶ ص۲۱۶ باب ما أوله الميم.

() العلامة الحلى (۶۴۸ ۷۲۶ه) هو الحسن بن يوسف بن على بن المطهر الحلى، ويعرف بالعلامة، من كبار علماء الشيعة، نسبته إلى مدينة الحلة فى العراق وفيها مولده ومسكنه ومدفنه، له كتب كثيرة منها: تبصرة المتعلمين فى أحكام الدين، وتهذيب طريق الوصول إلى علم الأصول، والأحكام فى معرفة الحلال والحرام، ومختلف الشيعة فى أحكام الشريعة، وأنوار الملكوت فى شرح الياقوت. انظر روضات الجنات: ج۲ ص۲۶۸ بالرقم (۱۹۸)، والأعلام للزركلى: ج۲ ص۲۲۷.

() راجع كتاب (الصياغة الجديدة) و(السبيل إلى إنهاض المسلمين) و(ممارسة التغيير) وغيرها من المؤلفات القيمة للإمام المجدد الثانى (أعلى الله درجاته).

() غوالى اللآلى: ج۱ ص۱۲۹ الفصل۸ ح۳.

() تحف العقول: ص۲۸۶ وصيته عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفى.

() الكافى: ج۲ ص۵۸ باب فضل اليقين ح۳.

() الكافى: ج۱ ص ۳۰ باب فرض العلم ووجوب طلبه ح۴.

() الكافى: ج۱ ص۴۴ باب استعمال العلم ح۲.

() سورة الأحزاب: ۱۳.

() انظر تفسير القمي: ج٢ ص١٨٨ سورة الأحزاب، وفيه: ونزلت هذه الآية في فلان لما قال لعبد الرحمن بن عوف: هلم ندفع محمداً إلى قريش ونلحق نحن بقومنا.

() انظر بحار الأنوار: ج٢٠ ص١٨٩ ب١٧.

() سورة الأحزاب: ٩ ١٢.

() سورة الأحزاب: ١٨ ١٩.

() سورة الأحزاب: ١٢.

() سورة الأحزاب: ٩ ١٣.

() سورة الأحزاب: ١٣ ١٤.

() سورة الأحزاب: ٢٢.

() تفسير القمي: ج٢ ص١٧٦-١٨٨ سورة الأحزاب، وانظر بحار الأنوار: ج٢٠ ص١٨٦ ب١٧ قريبا منه.

() بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ ب٧٠ ضمن ح١.

() بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ ب٧٠ ضمن ح١.

() بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ ب٧٠ ضمن ح١.

() سورة الأحزاب: ٢٣.

() بحار الأنوار: ج٣٩ ص٢ ب٧٠ ضمن ح١.

() سورة طه: ٢٥٣١.

() سورة طه: ٢٥-٢٨، وانظر تفسير (تقريب القرآن إلى الأذهان) للإمام الراحل: ج١٦ ص٩٦ سورة طه، والتبيان في تفسير القرآن: ج٧ ص١٧٠ سورة طه.

() سورة الفرقان: ٧٧.

() سورة إبراهيم: ١٨.

() سورة القصص: ۴.

() تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص٣٠١.

() صدام التكريتي، طاغوت العراق في العصر الحديث صنيعة الغرب ليلائم مطامعهم وينفذ مخططاتهم في المنطقة وفق ظروفها السياسية، ولد عام (١٩٣٩م) في قرية العوجة جنوب تكريت، انتمى إلى حزب البعث واشترك مع بعض عناصر الحزب في محاولة فاشلة لاغتيال عبد الكريم قاسم عام (١٩٥٩م) هرب إلى سوريا ومنها إلى مصر. وخلال فترة وجوده في القاهرة، تلقفته السفارة الأمريكية لتجنيده لمصلحة المخابرات الأمريكية، بعد أن كان مجنداً في الأصل لمصلحة المخابرات البريطانية كما روى عن مؤسس حزب البعث في العراق فؤاد الركابي، فقد ذكر في صحيفة الشرق الأوسط بأن الرئيس عبد الناصر قد أخبر ناقل الخبر للصحيفة في عام (١٩٦٩م) وهو شخصية معروفة في الوطن العربي أن صدام حسين هو رجل أمريكا الأول في المنطقة، وأنه كان دائم التردد على السفارة الأمريكية بالقاهرة، وأن المخابرات المصرية قد صورت ورصدت كل تحركاته واتصالاته بالسفارة الأمريكية.

اشترك في انقلاب (١٧ تموز ١٩٦٨م)، وفي عام (١٩٧٠م) أصبح صدام نائباً لمجلس قيادة الثورة ورئاسة الجمهورية في حال غياب البكر عن البلاد. وفي عام (١٩٧٩م) أصبح رئيساً للجمهورية بعد أن أقصى البكر عن الحكم ومنح نفسه رتبة مهيب ركن. ووفق ماهو مخطط له من قبل أسياده هاجم إيران (١٩٨٠م) فاندلعت حرب الخليج الأولى واستمرت ثمان سنوات، ثم احتل الكويت عام (١٩٩٠م) فاندلعت حرب الخليج الثانية، فقامت قوات الحلفاء بقيادة أمريكا بإخراج الجيش العراقي من الكويت وتدمير العراق ووضع العراق

تحت حصار طويل الأمد. انتفض الشعب العراقی ضد طاغيته فقمع صدام انتفاضة الشعب العراقی بوحشية لا مثيل لها، وذلك بمعونة الغرب وأذنابهم فی المنطقة، حتی قدرت أعداد من قتلوا وأعدموا واختفوا ما يزيد علی ۳۰۰ ألف عراقی، وقيل ۵۰۰ ألف.

() إشارة إلی جريمة التهجير القسری لمئات الآلاف من الأبرياء الذين هجّروا وشردوا فی البراری والقفار والبلدان وذلك عبر قرارات إرهابية أصدرها النظام الحاكم فی العراق منذ استيلائه علی كرسی الحكم، انظر كتاب (التهجير جناية العصر) للإمام الراحل.?

() كما حدث فی قمع النظام الحاكم لانتفاضة الشعب العراقی عام (۱۹۹۱م) بوحشية لا مثيل لها.

() هو الحجاج بن يوسف بن أبی عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، وهو قسی بن منبه بن بكر بن هوازن، أبو محمد الثقفی. ولد سنة (۴۵ه) أو بعدها بيسير ونشأ بالطائف، وكان أبوه من أتباع بنی أمية وحضر مع مروان حروبه، ونشأ ابنه مؤدب كتاب ثم لحق بعبد الملك بن مروان وحضر معه قتل مصعب بن الزبير ثم انتدبه لقتال عبد الله بن الزبير بمكة فجهزه أميرا علی الجيش فحاصر مكة ورمی الكعبة بالمنجنيق إلی أن قتل ابن الزبير. وقال جماعة: إنه دس علی ابن عمر من سمه فی زج رمح، ولاه عبد الملك الحرمين مدة، ثم استقدمه فولاه الكوفة وجمع له العراقين فسار بالناس سيرة جائرة واستمر فی الولاية نحوا من عشرين سنة، وكان فصيحا بليغا فقيها، وكان يزعم أن طاعة الخليفة فرض علی الناس فی كل ما يرومه ويجادل علی ذلك، وخرج عليه ابن الاشعث ومعه أكثر الفقهاء والقراء من أهل البصرة وغيرها فحاربه حتی قتله، وتتبع من كان معه فعرضهم علی السيف فمن أقر له أنه كفر بخروجه عليه أطلقه ومن امتنع قتله صبرا. حتی قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم. وأخرج الترمذی من طريق هشام بن حسان: أحصينا من قتله الحجاج صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا، وقال زاذان: كان مفلسا من دينه، وقال طاوس: عجبت لمن يسميه مؤمنا، وكفّره جماعة منهم سعيد بن جبير والنخعی ومجاهد وعاصم بن أبی النجود والشعبی وغيرهم، وقالت له اسماء بنت أبی بكر: أنت المبير الذی أخبرنا به رسول الله صلی الله عليه و اله. وقال القاسم بن مخيمرة: كان الحجاج ينقض عری الاسلام عروة عروة. مات سنة (۹۵ه) بواسط وهو الذی بناها، وقيل إنه لم يعش بعد قتل سعيد بن جبير إلا يسيرا.

انظر البداية والنهاية، لابن كثير: ج ۹ ص ۱۳۶: وذكر صاحب العقد ان الحجاج كان هو وأبوه يعلمان الغلمان بالطائف، ثم قدم دمشق فكان عند روح بن زنباع وزير عبد الملك، فشكا عبد الملك إلی روح أن الجيش لا ينزلون لنزوله ولا يرحلون لرحليه، فقال روح: عندی رجل توليه ذلك، فولی عبد الملك الحجاج أمر الجيش، فكان لا يتأخر أحد فی النزول والرحيل، حتی اجتاز إلی فسطاط روح بن زنباع وهم يأكلون فضربهم وطوف بهم وأحرق الفسطاط، فشكا روح ذلك إلی عبد الملك، فقال للحجاج: لم صنعت هذا؟ فقال: لم أفعله إنما فعله أنت، فإن يدی يدك، وسوطی سوطك، وما ضرك إذا أعطيت روحا فسطاطين بدل فسطاطه، وبدل الغلام غلامين، ولا تكسرنی فی الذی وليتنی؟ ففعل ذلك وتقدم الحجاج عنده. قال: وبنی واسط فی سنة أربع وثمانين، وفرغ منها فی سنة ست وثمانين، وقيل قبل ذلك، وذكر فی حكايته ما يدل أنه كان أولا يسمی كليبا، ثم سمی الحجاج. وذكر أنه ولد ولا مخرج له حتی فتق له مخرج، وأنه لم يرتضع أياما حتی سقوه دم جدی ثم دم سالخ ولطخ وجهه بدمه فارتضع، وكانت فيه شهامة وحب لسفك الدماء، لأنه أول ما ارتضع ذلك الدم الذی لطخ به وجهه، ويقال: إنه أمه هی المتمنية لنصر بن حجاج بن علاط، وكان كثير قتل النفوس التی حرمها الله بأدنی شبهة، وكان يغضب غضب الملوك، وكان فيما يزعم يتشبه بزياد بن أبيه، وكان زياد يتشبه بعمر بن الخطاب فيما يزعم أيضا.

انظر تهذيب التهذيب: ج۲ ص۱۸۴ ح۳۸۸ تمييز. والبداية والنهاية: ج۹ ص۱۳۶ ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفی.

() مروج الذهب: ج۳ ص۱۷۵ ذكر أيام الوليد بن عبد الملك.

() تاريخ الخلفاء للسيوطی: ص۲۱۹ عبد الملك بن مروان.

() تاريخ بغداد: ج۱۰ ص۳۸۹ وفی خبر آخر قالوا: لما سلم علی عبد الملك بن مروان بالخلافة كان فی حجره مصحف فأطبقه وقال:

هذا فراق بيني وبينك.

() تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ۲۲۰ عبد الملك بن مروان.

() تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص ۲۲۰ عبد الملك بن مروان.

() انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: ج ۲ ص ۱۸۴ الرقم ۳۸۸؛ وانظر البداية والنهاية: ج ۹ ص ۱۳۶ ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي.

() المستطرف: ج ۱ ص ۱۲۱، وانظر مروج الذهب: ج ۳ ص ۱۳۳ ذكر طرف من أخبار الحجاج وخطبه.

() بحار الأنوار: ج ۴۲ ص ۱۲۶ ب ۱۲۲.

() للمزيد راجع البداية والنهاية: ج ۹ ص ۱۳۶ ترجمة الحجاج بن يوسف.

() سورة الرعد: ۱۱

() سورة الرعد: ۱۱.

() سورة المائدة: ۳۱.

() وسائل الشيعة: ج ۱۶ ص ۲۸۱ ب ۴۱ ح ۲۱۵۵۶.

() عدة الداعي: ص ۲۳۲ ب ۴ ق ۳ خاتمة.

() سورة الأعراف: ۱۵۲.

() بحار الأنوار: ج ۶۷ ص ۲۴۰ ب ۵۴ ح ۸.

() الكافي: ج ۲ ص ۱۵۰ باب صلة الرحم ح ۳.

() وسائل الشيعة: ج ۲ ص ۴۳۴ ب ۲۲ ح ۲۵۶۵.

() مستدرك الوسائل: ج ۸ ص ۴۴۵ ب ۸۷ ح ۹۹۴۷.

() الكافي: ج ۲ ص ۳۷۴ باب في عقوبات المعاصي العاجلة ح ۲.

() ومن أخطر هذه الأمراض مرض نقص المناعة المكتسبة الذي يعرف بالإيدز، فقد ذكر في بعض التقارير حول هذا المرض، ما يلي: يبدو أن مرض الإيدز الذي تسبب في وفاة أكثر من ثلاثة ملايين شخص وارتفع عدد المصابين به إلى (۴۲ مليونا) في عام (۲۰۰۲م) أكثر خطورة بتقدمه بسرعة ليشمل قارات أخرى غير أفريقيا إلى درجة يهدد معها استقرار الكرة الأرضية.

وحذر مدير برنامج منظمة الأمم المتحدة لمكافحة الإيدز من أن التقديرات تثير مخاوف من إصابة (۴۵ مليون) شخص آخرين حتى عام (۲۰۱۰م) في الدول أل(۱۲۶) الأقل دخلا و ۴۰٪ منها في آسيا والمحيط الهادئ إذا لم تتخذ إجراءات فعالة. وأضاف: إن مكافحة المرض بفعالية تتطلب عشرة مليارات دولار سنويا مقابل ثلاثة مليارات حاليا. وبانتظار تحقيق ذلك لا يحصل غالبية المرضى في العالم على العلاج وينتشر المرض بوتيرة خطيرة تبلغ (۱۴ ألف شخص) يوميا (أي خمسة ملايين في عام ۲۰۰۲م).

وللمرة الأولى في تاريخ هذا المرض تشكل النساء ۵۰٪ من مجمل المصابين مقابل ۴۸٪ في العام الماضي. وتبقى القارة السوداء التي يبلغ عدد المصابين فيها (۲۹،۴ مليون) شخص الأكثر ضررا. فخلال العام الجاري توفي (۲،۴ مليون) من الأفارقة بالإيدز ويواجه أكثر من (۱۴ مليوناً) خطر الموت بسبب المجاعة التي يزيد المرض من خطورتها لأنه يحصد القوى المنتجة.

وقال مدير إدارة مساندة الدول في بوتسوانا: لو لم ينتشر الإيدز في بوتسوانا لبلغ معدل الحياة (۶۲ عاما) بدلا من (۳۷ عاما) اليوم وأسس الأمن والاستقرار بحد ذاتها تأثرت في هذه المنطقة التي تبلغ نسبة العسكريين المصابين فيها بين ۴۰ و۵۰."٪

أما الصين والهند حيث يمكن أن يبلغ عدد حاملي الفيروس عشرة ملايين شخص مع انتهاء العقد الجاري إذا لم يتم الحد من انتشار المرض تشكلان قنبلتين موقوتتين حقيقيتين، بينما يستمر الإيدز في الانتشار بسرعة كبير في أوروبا الشرقية ووسط آسيا.

وإن التقديرات غير الرسمية تقدر عدد الحاملين لفيروس المرض بين أربعة ملايين إلى عشرة ملايين شخص في الهند، وترى أن عدد

الإصابات سيتضاعف كل ثلاثة إلى أربعة أعوام. وأن ما بين (٢٠ و٢٥ مليون) هندى سيصابون بالمرض بحلول عام (٢٠١٠م) إذا لم يتم فعل أى شيء لاقتلاع المرض، وسيشكل هذا العدد حوالى ٢٪ من عدد السكان (مقارنة بأكثر من ٢٠٪ بالنسبة لبعض الدول الأفريقية) ولكن الرقم بحد ذاته قد يشل عجلة التطور والتنمية فى الهند.

ويرى الأمين العام للاتحاد الدولى للهلال والصليب الأحمر استناداً لإحصائية معتمدة بأن هناك نصف مليون مولود يولدون وكأنهم مصابون بفيروس الإيدز، نتيجة لتخوف الأمهات من إجراء الفحوص الطبية الخاصة بمعرفة مدى إصابتهن أو حملهن للفيروس.

وسجل انتشار المرض فى أوروبا الشرقية ارتفاعاً بنسبة بلغت حوالى (٤.٢٦٪) خلال السنوات الخمس الأخيرة، يضاف لذلك نصف مليون مريض كما تشير لذلك قوائم المصابين بالإيدز فى العالم سنوياً.

أما عن العالم العربى فتشير معلومات الاتحاد الدولى لجمعيات الهلال والصليب الأحمر، أن دوله ما تزال تتحفظ فى الحديث عن مرض نقص المناعة المكتسب (الإيدز)، وقال مسؤولون فى الأمم المتحدة ومنظمة الصحة العالمية: إن المصابين بفيروس نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) يزيد عددهم فى الدول العربية سنويا بمعدل ثمانين ألف مصاب ليصل مجموعهم حاليا إلى نحو (٧٥٠ ألف) مصاب بالإيدز.

وفى تقرير آخر جاء فيه: بناء على تقرير نشرته وزارة الصحة البريطانية جاء فيه: أن معدل الإصابة بالأمراض التى تنتقل عدواها بواسطة العلاقات الجنسية بلغ هذا العام أعلى مستوياته فى السنوات العشر الماضية.

فقد سجلت معدلات الإصابة بالكلاميديا فى الأعضاء التناسلية وهو مرض تسببه مجموعة من المتعضيات المجهرية بنسبة ٦٧٪ فى السنوات الخمس الأخيرة، إذ ارتفع عدد المصابين بالمرض من(٣٢.٣٧١ مصاباً) عام (١٩٩٥م) إلى (٥٦.٨٥٥) فى عام (١٩٩٩م). كما ازدادت الإصابة بالسفلس بنسبة ٥٤٪، والسفلس مرض يصيب اللوطيين وثنائى الجنس، ممن يمارسون الجنس مع الرجال والنساء على حد سواء.

وفى الولايات المتحدة الذى ولد هذه الأمراض، تشير بعض التقارير عن حدوث ارتفاع كبير فى عدد حالات الإصابة بمرض الزهرى بين الشواذ والرجال ثنائى الميول الجنسية فى مدينة لوس أنجلس الأمريكية مما دفع منظمة للرعاية الصحية لمرض الإيدز لاتهام مسئولى الصحة بتجاهل المرض، فقد قال مسؤول الصحة فى المنطقة: أن دراسة حديثة أظهرت أن عدد حالات الإصابة بالزهرى قفز من (٣٠) حالة عام (٢٠٠٠م) إلى (٥٠٧ حالات) فى عام (٢٠٠٢م)، وأضافت الدراسة أن ٦٢٪ من الحالات الجديدة كانت بين الشواذ والرجال ذوى الميول الجنسية الثنائية، وأن ستاً من بين كل عشر حالات كانت لرجال مصابين بالفعل بفيروس (أتش أى فى) (H.A.V) المسبب لمرض الإيدز. وأوضح أطباء فى مؤسسة الرعاية الصحية لمرضى الإيدز وهى أكبر منظمة أمريكية تعنى بالإيدز أن عدد حالات الزهرى التى لم يتم تشخيصها فى لوس أنجلس تفوق على الأرجح عدد الحالات التى اكتشفت بنحو ١٣ إلى ١.

إن هذه التقارير تؤكد على صحة وصواب التوجهات الأخلاقية للدين الإسلامى الحنيف، وكما تؤكد فى الفرض نفسه على زيف وعدم صحة الحضارة الغربية التى كانت ولا زالت هى السبب الحقيقى للأمراض والمشاكل الصحية والاجتماعية والنفسية التى يعانى منها عشرات الآلاف من شعوب تلك الأنظمة، وهى أخيراً السبب الأول والرئيسى لما تعانيه شعوب العالم الثالث من فقر وجهل وتمييز وروح عدم الاكتراث واللامبالاة من قبل الدول الغربية التى كانت هى المسببة لمعاناة تلك الشعوب، ومنها ما تعانيه اليوم من انتشار لهذا الوباء الخطير وكأنه حرب جديدة يخوضها العالم الغربى ضد هذه الشعوب من أجل القضاء عليها تطبيقاً لنظرياتهم فى الاقتصاد.

إن الحياة الدولية والشخصية أيضاً تقدم إلينا فى كل يوم الدليل تلو الآخر بعظمة ما جاء به خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه و اله، وما دعا إليه ديننا الإسلامى الحنيف. للتفصيل انظر شبكة النبأ المعلوماتية.

() الكافى: ج٢ ص٣٧٣ باب فى عقوبات المعاصى ح١.

() سورة الروم: ٤١.

() نهج البلاغة، الكتب: ۴۷ من وصية له عليه السلام للحسن والحسين ? لما ضربه ابن ملجم (عليه لعنة الله).

() سورة محمّد: ۷.

() نهج البلاغة، الخطب: ۲۳۲ من كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالاً.

() غرر الحكم ودرر الكلم: ص ۳۴۱ ق ۴ ب ۲ الفصل ۳ ح ۷۷۹۷.

() نهج البلاغة، الكتب: ۵۳ كتابه عليه السلام للأشتر النخعى.

() الصحيفة السجادية: ۲۰ من دعائه عليه السلام فى مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال.

() سورة المائدة: ۴۲.

() سورة النساء: ۵۸.

() سورة النحل: ۹۰

() سورة الحديد: ۲۵.

() سورة آل عمران: ۱۴۷.

() سورة إبراهيم: ۲۷.

() سورة النحل: ۱۰۲.

() سورة الأنفال: ۴۵.

() سورة آل عمران: ۱۷۵.

() سورة المائدة: ۴۴.

() سورة المائدة: ۵۴.

() سورة طه: ۴۶.

() سورة النساء: ۱۴۴-۱۴۶.

() سورة الأعراف: ۲۹.

() سورة الزمر: ۳.

() سورة الزمر: ۱۴-۱۵.

() ثواب الأعمال: ص ۲۶۰ كتاب عقاب الأعمال باب عقاب من ولى عشرة فلم يعدل فيهم.

() عيون أخبار الرضا: ج ۲ ص ۲۸ ب ۳۱ ح ۲۰.

() أمالى الصدوق: ص ۲۴۴ المجلس ۴۳ ح ۲.

() الكافى: ج ۸ ص ۸ ح ۱.

() تحف العقول: ص ۸۸ باب ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام وصيته لابنه الحسن عليه السلام.

() الكافى: ج ۲ ص ۸۲ باب استواء العمل ح ۲.

() وسائل الشيعة: ج ۱۷ ص ۱۸۳ ب ۴۳ ح ۲۲۳۰۶.

() الكافى: ج ۲ ص ۳۳۳ باب الظلم ح ۱۶.

() ثواب الأعمال: ص ۲۶۰ كتاب عقاب الظلمة باب عقاب الظلمة وأعوانهم.

() عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ۲ ص ۲۳۵ ب ۵۸ ح ۷.

() بحار الأنوار: ج ۷۰ ص ۱۷۵ ب ۱۲۹ ضمن ح ۱۵.

() مستدرک الوسائل: ج ۱۱ ص ۲۰۱ ب ۷ ضمن ح ۱۲۷۳۸.

() غرر الحکم ودرر الکلم: ص ۱۹۸ ق ۲ ب ۲ الفصل ۷ ح ۳۹۰۸.

() غرر الحکم ودرر الکلم: ص ۲۷۴ ق ۳ ب ۲ الفصل ۵ ح ۵۹۹۴.

() سورة الملک: ۲.

() سورة الإسراء: ۸۴.

() الکافی: ج ۲ ص ۱۶ باب الإخلاص ح ۴.

() عیون أخبار الرضا علیه السلام: ج ۲ ص ۶۹ ب ۳۱ ح ۳۲۱.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنـادِرُ البِحـار – فی تلخيص بحـار الأنـوار، للعلاّمـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهـم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلميّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.



مركز
القائمية
اصفهان
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹